مكتبة المنارة الأزهرية

أنبياء الله

www.kotobarabia.com

د. محمد مورو

أنبيـاء اللــه

" للأطفـــال "

http://tahasafeer.blogspot.com/

د. محمد مورو

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

http://tahasafeer.blogspot.com/

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾

صدق الله العظيم

http://tahasafeer.blogspot.com/

الفهرس

(١) آدم عليه السلام.. ٥

(٢) نوح عليه السلام ١٠

(٣) هود عليه السلام ١٤

(٤) صالح عليه السلام ١٦

(٥) إبراهيم عليه السلام.. ١٩

(٦) إسحاق عليه السلام.. ٢٧

(٧) لوط عليه السلام.. ٢٩

(٨) يوسف عليه السلام ٣٢

(٩) شعيب عليه السلام.. ٣٩

(١٠) موسى عليه السلام ٤٢

(١١) داود عليه السلام.. ٦٢

(١٢) سليمان عليه السلام.. ٦٧

(١٣) إدريس عليه السلام.. ٧٣

(١٤) إلياس عليه السلام.. ٧٤

(١٥) اليسع عليه السلام.. ٧٥

(١٦) ذو الكفل عليه السلام.. ٧٦

(١٧) أيوب عليه السلام.. ٧٨

(١٨) يونس عليه السلام.. ٨٠

(١٩) زكريا عليه السلام ٨٢

(٢٠) يحيى عليه السلام.. ٨٥

(٢١) عيسى عليه السلام ٨٧

مشهد من مشاهد يوم القيامة ٩١

(١)

آدم عليه السلام

كان الله ولم يكن شيء سوى الله، لا إله إلا الله، هو الأول والآخر.

الله هو الذي خلق كل شيء، خلق أشياء كثيرة لا نعرفها، وأشياء كثيرة نعرفها الآن، أو سوف نعرفها في المستقبل.

خلق الله الكون، وهو فسيح جدا، وهذه الأرض التي تعيش عليها هي جزء من هذا الكون الفسيح، وهذا الكون أكبر من الأرض بملايين الملايين الملايين من المرات..

خلق الله الملائكة، وخلق الجن وخلق الحيوانات والطيور والنباتات، وخلق الله تعالى أشياء صغيرة جدا لا نراها بالعين المجردة بل نراها بأجهزة دقيقة جدا.

الله خلق كل شيء بحكمة عظيمة وقدرة عظيمة ودقة عظيمة، سواء كان هذا الشيء كبيرا جدا أو صغيرا جدا.

الله هو الذي خلق الإنسان ليعيش على الأرض إلى يوم القيامة وجعل الأرض صالحة لهذا الإنسان ملائمة له.

ولخلق الإنسان الأول آدم أبي البشر قصة مثيرة.

أخبر الله الملائكة بأنه سوف يخلق البشر ليعيشوا في الأرض ويعمروها.

والملائكة مخلوقات خلقها الله من النور، وهي لا تعرف معصية الله، وهي تسبح الله وتعبده دائما.

كانت الملائكة قد رأت قبل ذلك الجن، والجن مخلوقات خلقها الله من النار، منها من يؤمن بالله، ومنها من يكفر بالله، منها من يطيع الله ومنها من يعصيه. كانت الملائكة قد رأت بعض الجن يفسد أو يقتل بعضه بعضا.

وكانت الملائكة ترى بعض الحيوانات في الأرض تقتل بعضها بعضا.

لم تفهم الملائكة الحكمة من خلق الإنسان الذي يمكنه أن يطيع الله ويمكنه أن يعصاه، وهي لا تفعل سوى الطاعة والعبادة لله تعالى.

تساءلت الملائكة هل يخلق الله الإنسان ويجعله يسكن الأرض، فيحدث الفساد والقتل وسفك الدماء.

أخبر الله الملائكة أنه سوف يخلق آدم أبا البشر من طين، ثم ينفخ فيه من روحه فيصير إنسانا، فإذا فعل ذلك فإن على الملائكة أن تسجد لهذا الإنسان سجود تكريم وليس سجود عبادة؛ لأن العبادة لا تكون إلا لله وحده.

وعندما خلق الله آدم سجدت له الملائكة جميعا، وكان إبليس، وهو من الجن موجودا في تلك اللحظة، فأمره الله أن يسجد لآدم فرفض أن يسجد ومنذ تلك اللحظة أصبح إبليس عدوا لآدم وذريته.

علم الله آدم أسماء الأشياء، هذه شجرة وذاك حيوان وهذا عصفور وذاك جبل، وغيرها من الأسماء، ومعرفة هذه الأسماء كان طريقًا إلى العلم والمعرفة، وهذا العلم والمعرفة كانا من النعم التي أنعمها الله على البشر وفضلهم بها على المخلوقات.

أحضر الله تعالى بعض الأشياء وطلب من الملائكة أن تقول له أسماء هذه الأشياء فلم تعرف الملائكة هذه الأسماء وأجابوا بأنهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله.

طلب الله تعالى من آدم أن يقول أسماء هذه الأشياء، فعرف آدم أسماء الأشياء، وقالها للملائكة.. عندئذ عرفت الملائكة أن لله حكمة في خلق الإنسان وقال الله للملائكة:

﴿ألم أقُل لكُم إني أعلم غيب السماواتِ والأرض وأعلم ما تُبدون وما كُنْتُم تكْتُمون﴾..

ونعود الآن إلى قصة إبليس مع آدم، فقد رفض إبليس أن يسجد لآدم عندما أمره الله بذلك، كان إبليس متكبرا حسودا ينطوي قلبه على الشر، وجاءت هذه الحادثة لتظهره على حقيقته.

عندما رفض إبليس أن يطيع أمر الله ويسجد لآدم، لم يعاقبه الله على ذلك فور وقوع الأمر، بل سأله عن السبب وتركه يشرح وجهة نظره، ويقول ما يريد رغم أن الله يعرف كل شيء، سأل الله تعالى إبليس عن سبب امتناعه عن السجود لآدم كما أمره الله، أجاب إبليس بأنه أفضل من آدم حيث خلق الله آدم من طين وخلق الله إبليس من نار، وكان إبليس مخطئا في ذلك فهو ليس أفضل من آدم وليست النار أفضل من الطين.

وهكذا ارتكب إبليس عدة معاصي في وقت واحد، معصية رفض أوامر الله، ومعصية الكبر والغرور بالشعور بأنه أفضل من آدم، ومعصية تعليل خطئه الكبير بحجة غير صحيحة، وهي أنه أفضل من آدم؛ لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين لو كان إبليس عاقلا أو به شيء من الخير، لاعترف بخطئه وطلب من الله التوبة، ولكنه كان جاهلا شريرا حسودا متكبرا كافرا، فاستحق لعنة الله، وطرده الله من رحمته، ولكن كل هذا لم يكن كافيا ليرجع إبليس عن كفره وغروره ويتوب إلى الله بل صمم إبليس على أن يكون عدوا للإنسان، وأن يعمل كل ما يستطيع لشقاء هذا الإنسان.

طلب إبليس من الله تعالى أن يتركه حيا إلى يوم القيامة واستجاب الله إلى طلبه.

وأعلن إبليس أنه سوف يفعل كل شيء من أجل دفع الإنسان إلى طريق الشر وإبعاده عن طريق الخير، سيفعل كل ما يستطيع ليخرج الإنسان من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، ولكن الله تعالى لم يجعل لإبليس سلطانا على الناس، ولم يعطه القدرة على السيطرة

س ر ه ف

على الإنسان أو دفعه إلى الكفر والشر، بل يكون لإبليس القدرة والسلطان على هؤلاء الذين يطيعونه ويستمعون إليه ويسيرون في طريقه أما الناس الصالحون فلا يستطيع إبليس معهم شيئا.

وأعلن الله تعالى أن من يتبع دين الله ومنهجه ويسير في طريق الإيمان والخير فإن له الجنة، وكذلك من عصى الله ثم تاب فإن له الجنة، أما من يعص الله تعالى ويطع إبليس فإن الله سيدخله مع إبليس إلى النار وبئس المصير.

خلق الله تعالى حواء من جسم آدم، وجعلها زوجة له، وأمرهما الله أن يسكنا في الجنة، وضمن لهما ألا يجوعا فيها وألا يكونا عاريين، وسمح لهما بأن يأكلا من كل شيء في الجنة ما عدا شجرة واحدة.

وكان معنى هذا أن الله يعلم آدم الحلال والحرام، فالحلال كثير جدا، وهو طريق إلى السعادة في الدنيا والآخرة، والحرام قليل جدا، وهو طريق إلى الشقاء في الدنيا والآخرة.

كانت كل أشجار الجنة حلال لآدم وزوجته، وهناك شجرة واحدة محرمة عليهما.

وعلم إبليس بأن هناك شجرة محرمة على آدم وزوجته حواء في الجنة، ووجدها فرصة لكي يوسوس لآدم وحواء حتى يجعلهما يعصيان الله فيصبحان في طريق الخسارة والظلم، ولأن إبليس "الشيطان" يكره الإنسان كراهية شديدة فقد قرر أن يستعمل كل الحيل والوسائل لكي يدفع آدم وزوجته إلى الخسارة ومعصية الله تعالى بالأكل من الشجرة المحرمة.

أخذ إبليس يلح على آدم وزوجته بأن يأكلا من هذه الشجرة وأخذ يزين لهما ذلك ويحببهما فيها، وأخبرهما أن من يأكل من هذه الشجرة يصبح خالدا أو يصبح ملكا، وأخذ يقسم على ذلك ويزعم أنه ينصح لهما ويحب لهما الخير ونسي آدم وحواء أن إبليس هو عدوهما، فأكلا من هذه الشجرة المحرمة، وبمجرد أن أكلا منها أحسا أنهما عاريان وشعرا بالخجل، وعلى الفور أخذا بعض أوراق الأشجار ليغطيا بها جسميهما العاريين.

وأنب الله تعالى آدم وحواء على ذلك الأمر، ووضح لهما أنه كان قد أمرهما بألا يأكلا من تلك الشجرة وأن إبليس عدو لهما لا يريد لهما الخير.

شعر آدم وحواء بالندم الشديد فتلقى آدم كلمات من ربه يعلمه بها التوبة فأخذ آدم وحواء يرددانها ليتوب الله عليهما.

وقبل الله توبة آدم وحواء، ثم أمرهما بأن يهبطا إلى الأرض ويعيشا فيها، حيث يتكاثر نسلهما من البشر وعلمهما أنهما سوف يعيشان على الأرض فترة ثم يموتان ثم يعيش أولادهم ثم يموتون وهكذا إلى يوم القيامة؛ حيث يبعث الجميع فيدخل المؤمنون الجنة ويدخل الكافرون النار، وجعل الله في الأرض الكثير من الطعام والكساء "الملابس"، وحذر الله الإنسان دائما من إبليس "الشيطان" الذي لا يريد للإنسان إلا الشر.

عاش آدم وحواء على الأرض، وأخذا يعبدان الله تعالى ويقومان بالعمل في الأرض لبناء المساكن وزراعة الغذاء وصنع الملابس "الكساء"، وأنجبا عددا كبيرا من الأولاد والبنـات، ثـم تزوج هؤلاء وأنجبوا أولادا وبناتٍ وكثر عدد الناس في الأرض من ذرية آدم وحواء.

*** قابيل وهابيل:**

بعد أن هبط آدم وحواء إلى الأرض، وعاشا بها، أخذت حواء تلد من وقت لآخر عـددا من الذكور والإناث، وكان من الطبيعي أن يتزوج الذكور الإناث حتـى يـستمر النـسل علـى الأرض.

وتقول الروايات إن حواء كانت تلد في كل مرة ذكورا وإناثا، وإن الزواج كان يتم بحيث يتزوج ذكر من ولادة معينة أنثى من ولادة أخرى وهكذا، وكان قابيل وهابيل من أبناء آدم عليه السلام، كان قابيل يعمل بالزراعة أما هابيل فكان يعمل في رعي الماشية.

وعندما كبرا وأرادا أن يتزوجا، كان من المفروض أن يتزوج هابيل بالأنثى التي ولدت مع قابيل، وأن يتزوج قابيل بأنثى أخرى.

ولكن قابيل أراد أن يتزوج بعروس أخيه هابيل وأصبحت هناك مشكلة، وكان لا بد للأب آدم أن يحكم في هذه المشكلة.

وأمر آدم عليه السلام كلا من قابيل وهابيل أن يقدما قربانا إلى الله، ومن يتقبل منـه الله القربان يتزوج بهذه العروس.

وكان هابيل شابا صالحا تقيا، وكان قويا، وذهب هابيل إلى الماشية التي يرعاها فاختار أفضلها وقدمها قربانا إلى الله.

أما قابيل فقد اختار بعض المزروعات التي يزرعها وقدمها قربانا إلى الله.

فتقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، وكان معنى هذا أن العروس ستكون مـن نصيب هابيل. كان من المفروض أن يقبل قابيل حكم الله، ولكن الشيطان وسـوس لـه فـشعر بالحسد على أخيه وقرر أن يقتله.

ذهب قابيل إلى حيث يرعى هابيل أغنامه، وقال له سوف أقتلك، قال هابيل لا تحـسدني يا أخي؛ لأن الله تقبل القربان مني؛ لأن الله يتقبل من المتقين، وبرغم أن هابيل كان أقـوى فـي الجسم من قابيل، وكان يستطيع أن يقتله إلا أنه امتنع عن ذلك، وقال لأخيه لو حاولت أن تقتلني فلن أمد يدي إليك لأقتلك؛ لأنني أخاف الله رب العالمين، ولأن من يقتل إنسانا يرتكب إثما كبيـرا ويكون مصيره إلى النار.

إلا أن قابيل أصر على قتل أخيه، فضربه ضربة قوية فمات هابيل.

جلس قابيل أمام جثة أخيه هابيل واحتار ماذا يفعل بها.

وفي تلك اللحظة جاء غراب وأخذ يحفر في الأرض، وكأن الله قد أرسل هذا الغراب ليعلم قابيل كيف يدفن جثة أخيه قال قابيل عندما رأى الغراب: إنني عجزت أن أفعل مثل هذا الغراب، وقام ودفن أخاه في الأرض، وبعد أن دفنه أخذ يفكر فيما حدث، فشعر بالندم الشديد على ما فعله.

وعندما علم آدم بالأمر حزن حزنا شديدا على ابنه المقتول هابيل، وحزن أيضا على ابنه قابيل؛ لأنه عصى الله تعالى واستمع إلى الشيطان وارتكب هذه الجريمة البشعة، جريمة قتل أخيه.

* موت آدم عليه السلام:

مرت سنوات وسنوات على آدم وحواء وهما يعيشان على الأرض، وكثر أبناء آدم وحواء، وكذلك كثر الأحفاد من أبناء الأبناء، وكان الجميع يعبد الله تعالى ولا يشرك به شيئا، وكان آدم يعلم أولاده ويدلهم إلى طريق الإيمان والحق ويحذرهم من إبليس ووسوسته ويعرفهم بأن إبليس عدو لهم.

وبعد سنوات طويلة أحس آدم باقتراب الموت فجمع أولاده وأوصاهم بأن يظلوا على الإيمان بالله تعالى، وأنه لا إله إلا الله وأن يفعلوا الخير ويتركوا الشر وأن هناك طريقين طريق الإيمان والخير، وهذا يوصل إلى الجنة، وطريق الكفر والمعصية، وهذا يوصل إلى النار، وبعد أن استمع الأولاد والأحفاد إلى وصية الأب آدم جاء ملك الموت فقبض روح آدم عليه السلام، فمات آدم، وهو مؤمن طائع لله، واستمر أبناؤه وأحفاده على الإيمان مدة من الزمن ثم بدأت الخرافات والمعاصي والشرك تجد طريقها إليهم.

فهرس

(٢)

نوح عليه السلام

مات آدم عليه السلام وترك خلفه عددا كبيرا من الأولاد والأحفاد وتكاثر هؤلاء وانتشروا في أكثر من مكان في الأرض، وظل أولاد آدم وأحفاده يعبدون الله تعالى ولا يشركون به شيئا، ظلوا على دين الإسلام الذي أوصاهم به أبوهم آدم.

وكان من هؤلاء الأحفاد خمسة رجال صالحين، هم: "ود" و"سواع" و"يغوث" و"يعوق" و"نسر".

كان الناس يحبونهم؛ لأنهم صالحون، وعندما مات هؤلاء الرجال خمسة صنع الناس لهم تماثيل ليتذكروهم بها، وشيئا فشيئا بدأ الناس يعبدون هذه التماثيل الخمسة، ويتصورون أنها تقربهم إلى الله ويتقدمون إليها بالقرابين لكي تتوسط لهم عند الله، كان هذا شركا بالله، وكانت هذه بداية ما يعرف بعبادة الأصنام.

كان الناس في تلك اللحظة قد تركوا الإسلام ومالوا إلى عبادة الأصنام، تركوا التوحيد ومالوا إلى الوثنية، تركوا عقيدة لا إله إلا الله وعبدوا عددا من الأصنام وظنوها آلهة من دون الله.

ومع عبادة الأصنام ظهر الفساد والظلم، كان هناك حكام ظالمون، وأغنياء فاسدون، وكان هناك فقراء وضعفاء يعانون من هذا الظلم والفساد، ومع مرور الوقت كان الأغنياء يزدادون غنى وظلما، والفقراء يزدادون فقرا وضعفا، كان هناك سادة، وكان هناك عبيد.

وعندئذ أرسل الله رجلا من هؤلاء القوم هو سيدنا نوح عليه السلام لكي يدعو قومه إلى ترك الشرك والوثنية وعبادة الأصنام وأن يعودوا إلى عبادة الله الواحد، وأن يتركوا الظلم والفساد ويعودوا إلى العدل والإصلاح.

كان سيدنا نوح عليه السلام واحدا من هؤلاء القوم، ولكنه لم يكن مثلهم، كان يعبد الله تعالى، وكان يشكر الله تعالى ليلا ونهارا، وكان كلما أكل أو شرب أو لبس ملابسه أو عمل عملا أو نام أو استيقظ يشكر الله تعالى، ويحمده على نعمه الكثيرة ويعبده باستمرار ولذلك وصفه الله تعالى بأنه كان عبدا شكورا.

وبمجرد أن كلف الله تعالى سيدنا نوح بالرسالة، قام سيدنا نوح على الفور بدعوة قومه إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام، دعا سيدنا نوح قومه إلى عبادة الله تعالى؛ لأنها هي الطريق الصحيح للسعادة في الدنيا والآخرة، أما الشرك والوثنية وعبادة الأصنام فهي طريق إلى الهلاك في الدنيا ودخول النار في الآخرة.

خاطبهم سيدنا نوح عن طريق الفعل والمنطق والحجة، طلب منهم أن يفكروا في خلق السماء والأرض وخلق الإنسان، والنعم الكثيرة التي أنعمها الله على الناس، فكيف يتركون عبادة الله إلى عبادة الأصنام، طلب إليهم سيدنا نوح ألا يستمعوا إلى الشيطان وألا يطيعوه حتى لا يهلكوا، كان سيدنا نوح يدعو قومه علنا وسرا، كان يدعوهم ليلا ونهارا، وكان يدعوهم في الأندية والأماكن العامة، وكان يذهب إليهم في بيوتهم ويدعوهم. آمن عدد قليل بدعوة نوح، كان هؤلاء المؤمنون من الضعفاء والفقراء أما الأغنياء والسادة والحكام فرفضوا الاستجابة لدعوة نوح، كانوا مغرورين بأموالهم وأولادهم وقوتهم، وكان هذا الغرور يمنعهم من رؤية الحق، وكانوا أيضا يخافون من هذه الدعوة حتى لا يفقدوا سلطانهم ويتساووا مع الضعفاء والفقراء.

كان نوح ومن آمن معه على الحق، أما هؤلاء الكفار فكانوا على الباطل، والحق دائما يكون واضحا ومعقولا، أما الباطل فهو غير معقول ولا يصمد أمام المناقشة.

كان نوح عليه السلام يحاول أن يجعلهم يستعملون عقولهم في التفكير ليعرفوا الحق وليعرفوا أنه لا إله إلا الله، وكان نوح أيضا يعرفهم بأن الله غفور رحيم سوف يغفر لهم ذنوبهم إذا اهتدوا إلى الحق ورجعوا عن الباطل، وأن الله تعالى سوف يعطيهم الكثير من النعم مثل الأولاد والأموال والحدائق والأنهار، وينزل عليهم المطر الكثير الغزير إذا آمنوا بالله وتركوا عبادة الأصنام، ولكنهم لم يستمعوا إلى نوح، ولم يقبلوا أن يحتكموا إلى العقل والتفكير السليم ولا المناقشة الحرة، بل كانوا كلما كلمهم نوح وطلب منهم التفكير ودعاهم إلى الحق يفرون من أمامه، أو يضعون أصابعهم في آذانهم حتى لا يستمعوا إلى كلامه، أو يضعون ثيابهم على وجوههم حتى لا يرونه.

لم يكونوا قادرين على مواجهة حجة نوح ومنطق نوح بالحجة والمنطق، فلجئوا إلى المكر والخداع واختلاق الشائعات، أو سب نوح أو تهديده بالقتل، وهذا شأن الكفار دائما، لا يواجهون الحجة بالحجة والمنطق بالمنطق، بل يلجئون دائما إلى المكر والخداع والمؤامرات.

بدأ قوم نوح يوصون بعضهم بعضا بعدم الاستماع إليه ثم بدءوا يطلقون الشائعات بأنه مجنون وقالوا: إن نوحا على الباطل أما نحن فعلى الحق.

وكان نوح يرد عليهم بأدب شديد ويخبرهم بأنه ليس على ضلال بل على الحق، وأنه رسول من الله إليهم ليبلغهم رسالة الله، وأنه ينصح لهم ويريد لهم الخير. واستخدم الكفار حيلة أخرى قالوا لماذا لم يرسل الله أحد الملائكة بدلا من هذا الإنسان.

ورد عليهم نوح بأن من حكمة الله تعالى أن يرسل إلى الناس رسولا من البشر مثلهم يستطيع أن يتكلم معهم وأن الملائكة تؤدي ما يأمرها الله به والله لم يخلقها لمثل هذا الأمر، وهي غير مؤهلة له، والملائكة لا تسكن الأرض بل تأتي إلى الأرض كلما أمرها الله ثم تعود إلى السماء، ومرة أخرى عاد الكفار ليقولوا إنه لم يؤمن برسالة نوح إلا الضعفاء والفقراء ثم طلبوا من نوح أن يطرد الفقراء من حوله إذا أراد من كبار القوم وسادتهم وأغنيائهم أن يؤمنوا به.

وأفهمهم نوح أنه لا يستطيع ذلك؛ لأن هؤلاء الذين آمنوا إنما آمنوا بالله وأن أمرهم إلى الله وليس أمرهم إلى نوح، وأن نوحا لا يملك إلا الدعوة إلى الله كرسول، وبالتالي فهو لا يملـك أن يطردهم من الإيمان، وإن هو طردهم من حوله فإن الله سيغضب عليه ولن يستطيع أحـد أن يحميه من غضب الله عندئذ.

ثم أخبرهم نوح أنه مجرد بشر أرسله الله إليهم وليس ملكا، وأنه لا يعلم الغيب، ولـيس لديه خزائن الله، وأنه لن يقول إلا ما أمره الله به، وأنه لا يريد منهم أجرا على هـذه الـدعوة، وعاد الكفار ليقولوا إن نوحا قد أتى بهذا الدين من عند نفسه، وإن الله لم يأمره بذلك، وأخبـرهم نوح أنه إن كان يكذب على الله فإن عقوبة ذلك ستكون عليه، وأنه يريد أن ينـصحهم حتـى لا يهلكوا، ولكنهم مصممون على الكفر وسوف يهلكهم الله.

استمر نوح على هذا الحال، يدعو قومه ٩٥٠ سنة فآمن معه عدد قليل من الناس، ولـم يعد يؤمن بعد ذلك أحد من هؤلاء القوم، ويئس منهم نوح، وأخبره الله تعالى أنه لن يؤمن بعـد اليوم أحد غير هؤلاء الذين آمنوا بالفعل، ودعا نوح ربه أن يهلك الكفار جميعا من علـى وجـه الأرض حتى لا يتسببوا في المزيد من الفساد وإيذاء المؤمنين لكي يرجعوا عن الحق، واستجاب الله لدعائه، وأخبره بأنه سوف يصيب الأرض طوفان كبير يغرق الله فيه الكافرين جميعا، وأمره أن يصنع سفينة كبيرة من ألواح الخشب والمسامير الحديدية ليلجأ إليها المؤمنون عنـد حـدوث الطوفان فلا يغرقوا، وبدأ نوح في صنع هذه السفينة، وكان الكفار كلما مروا به، وهـو يـصنع السفينة يسخرون منه ويضحكون من هذا العمل، وكان نوح يخبرهم بأنهم يسخرون اليـوم منـه وسوف يسخر هو ومن معه من المؤمنين من هؤلاء الكفار في وقت قريب.

وأخبر الله تعالى نوحا أن من علامات ظهور الطوفان وغرق الكافرين هو خروج الماء من الفرن الموجود في بيت نوح، وطلب الله منه أن يحمل في السفينة من كل الكائنات زوجـين اثنين حتى تستمر الحياة بعد الطوفان، ووعد الله نوحا أن ينجيه من الغرق هو والمؤمنين وأهلـه إلا من كان منهم كافرا وانتهى سيدنا نوح من صنع السفينة، وخرج الماء من الفرن كما أخبـره الله، فأسرع نوح يدعو المؤمنين إلى ركوب السفينة ودعا أهله إلى ذلك، وحمل في السفينة مـن كل الكائنات زوجين، عصفور وعصفورة، فيل وفيلة، جمل وناقة.. وهكذا...

وبدأ الطوفان، انهمر الماء من السماء بغزارة، وخرج الماء مـن الأرض مـن فتحـات كبيرة ظهرت فجأة، وأخذ الماء يرتفع ويرتفع ويغمر كل شيء، كانت زوجة نوح قد رفضت أن تركب السفينة، وكذلك كان أحد أبنائه قد رفض أن يركب السفينة؛ لأنهما كانا من الكافرين.

أشفق نوح على ابنه، ودعاه إلى الإيمان وركوب السفينة؛ لأنه لا يركب السفينة إلا من كان مؤمنا، رفض هذا الابن أن يؤمن وأن يركب السفينة، وقال إنه سوف يصعد على قمة جبل عال حتى ينتهي الطوفان.

س ره ف

قال نوح لابنه: لن ينجو أحد من هذا الطوفان إلا المؤمنين، وارتفع الماء وارتفع، فلم يعد نوح يرى ابنه، وغرق الابن ومات وماتت كل الكائنات.

غطى الماء كل شيء، ما عدا من كان في السفينة، وعندئذ قال: الحمد لله الذي أنقذنا من الظالمين.

بعد فترة أمر الله تعالى السماء أن تتوقف عن المطر، وأمر الأرض أن تبلع الماء، وبدأ الماء يقل شيئا فشيئا حتى هبطت السفينة على الأرض في مكان يسمى "الجودي" وشكر نوح ربه على النجاة، وشكر المؤمنون ربهم على النجاة، ولكن نوحا كان حزينا على ولده الذي غرق، وتساءل نوح كيف أن الله وعده بنجاة أهله ثم ترك الله ابنه يغرق وأخبره الله تعالى أن هذا الولد ليس من أهل نوح؛ لأنه لم يؤمن بالله وأن الله وعده بنجاة أهله إلا من كان كافرا منهم، ولذلك هلك ابنه؛ لأنه لم يكن مؤمنا فلا ينطبق عليه وعد الله، وأراد الله أن يعلم نوح أن رابطة الإيمان أقوى من كل الروابط، وأن الابن الحقيقي هو من يؤمن بالله وليس الذي يكفر بالله ويعصاه.

أحس نوح أنه أخطأ عندما حزن على ابنه الكافر، واستغفر الله تعالى على ذلك وطلب منه التوبة والمغفرة، فتاب الله عليه، وأمره أن ينزل من السفينة هو، ومن معه من المؤمنين، ومن الكائنات، وبدأت الحياة والعمران على الأرض من جديد وظل الناس يعبدون الله تعالى ولا يشركون به شيئا مدة من الزمن بعد نوح ثم بدأ الفساد والكفر يظهران من جديد.

فهرس

(٣)

هود عليه السلام

هود عليه السلام هو أحد أنبياء الله، وكان هود أحد أبناء قبيلة تسمى "عاد"، كانت هـذه القبيلة تسكن في مكان يسمى "الأحقاف" بين حضرموت وعمان.

كانت عاد قبيلة قوية جدا، لدرجة أنها شعرت أنه ليس هناك من هو أقوى منها، وكانـت إذا اشتبكت في معركة مع قبيلة أخرى دمرتها تدميرا شديدا، وأعطى الله لقبيلة عاد الكثير مـن النعم، كان لديها الكثير من الأموال والأغنام والكثير من المزارع والحقول والحـدائق، وكانـت "عاد" مشهورة بالخيام العالية والقصور الفخمة، وكانت الأعمدة التي تقام عليها الخيام أو القصور أعمدة عالية شديدة القوة والمتانة وبالإضافة إلى ذلك كان قوم "عاد" أقوياء الجسم جـدا، كـانوا أطول من غيرهم من الناس وأضخم جسما.

كانت مدينتهم التي بنوها تسمى مدينة "إرم"، وكانت مدينة كبيرة وضخمة وعجيبة حتـى إنه لم تكن هناك مدينة مثلها.

ومع كل هذه النعم التي أنعمها الله على قوم عاد، تركوا عبادة الله وعبدوا الأصنام.

أرسل الله تعالى إليهم هودا عليه السلام، وهو واحد منهم لكي يدعوهم إلـى عبـادة الله وحده وترك عبادة الأصنام.

أخبرهم هود عليه السلام أنه رسول الله إليهم، وأنه لا يريد منهم أجرا على هذه الرسالة، بل هو رسول أمين يبلغ رسالة الله بالصدق والأمانة وينتظر أجره من الله وحده.

وينبههم هود عليه السلام إلى النعم الكثيرة التي أنعمها الله عليهم وأن عليهم أن يشكروا الله على هذه النعم، وألا يغتروا بقوتهم حتى يزيدهم الله من هذه النعم، ويزيدهم قوة على قـوتهم ويعطيهم المزيد من الأموال والخيرات، وينبههم هود عليه السلام أن الله تعالى الذي خلقهم هـو أشد منهم قوة.

ولكن "عاد" لم يستجيبوا لدعوة هود إلا عدد قليل منهم استجاب للدعوة وآمن بالله وحده.

كان قوم هود مغرورين بقوتهم وأموالهم، واتهموا هودا عليه السلام بـالجنون واتهمـوه أيضا بالانحراف والكذب، وزعموا أن آلهتهم غضبت على هود فأصابته بـالأمراض وخاصـة "الجنون"، كان قوم "عاد" أغبياء لا يفهمون شيئا، فكيف تكون هذه الأصـنام المـصنوعة مـن الحجارة والتي لا قيمة لها ولا تملك لنفسها شيئا، كيف تكون قادرة على إيذاء هـود أو إصـابته بالجنون.

وقال زعماء عاد وأغنياؤهم لماذا لم يرسل الله ملكا من الملائكة ليدعونا إلى هذا الـدين بدلا من أن يرسل أحد البشر الذي يأكل كما نأكل، ويشرب كما نشرب، وهذه الحجة هي نفـس

الحجة التي يقولها زعماء الكفار دائما ليكذبوا بها الرسل ويخدعوا بها الناس، والله تعالى يختـار من يشاء من البشر لأداء الرسالة، وهو عليم حكيم، والله تعالى خلق الملائكة ليعيشوا في السماء ولم يجعلهم قادرين أو مؤهلين للحياة باطمئنان على الأرض بصورة مستمرة، بل يرسلهم لمهمة معينة إلى الأرض فيؤدونها ثم يعودون إلى السماء، والله تعالى يعلم من يصلح لأداء الرسـالة، ومن لا يصلح.

لم ييأس هود عليه السلام واستمر يدعو قومه إلى الإيمان بـالله وحـده وتـرك عبـادة الأصنام.

واستمر قوم عاد على كفرهم وعنادهم ورفضوا الاستجابة لدعوة هـود، وقـالوا إنهـم يعبدون نفس الآلهة التي عبدها آباؤهم ولن يتركوا ما عبد الآباء والأجداد، وهكذا فقـد رفـضوا استخدام عقولهم في التفكير وفضلوا تقليد الآباء والأجداد حتى لو كان هؤلاء الآباء والأجداد على الباطل. وقالوا أيضا إنه لن يكون هناك بعث بعد الموت، وبالتالي فلن يصيبهم العذاب في الآخرة كما يحذرهم هود.

وهنا قال لهم هود إن عنادهم وكفرهم وعدم استجابتهم للدعوة سوف يـؤدي بهـم إلـى غضب الله، وسوف ينتقم الله منهم، فردوا عليه بأنهم هم الذين سوف ينتقمون منه ويعذبونـه أو يقتلونه إذا لم يترك هذه الدعوة التي يدعو إليها.

وكان معنى هذا أن انتقام الله سوف يصيبهم بعد أن وصلوا إلى هذه الدرجة من العنـاد، وأخبرهم هود أنه بريء مما يفعلون حتى لا يصيبه الهلاك معهم عندما يـأتي انتقـام الله، ثـم تحداهم أن يفعلوا به ما يريدون من العذاب والانتقام؛ لأن الله سوف يحميه منهم.

وبعد ذلك جاء موعد انتقام الله منهم، لم يعد لهم حجة فقد دعاهم هود كثيرا وقـدم لهـم الحجة بعد الحجة دون جدوى.

بدأ انتقام الله بأن توقف المطر عن النزول، واشتد الحر وجفت الآبار، وماتت الأغنـام، وجفت الزروع وأصبحت الحالة سيئة للغاية.

ومع ذلك لم يتراجع قوم عاد عن كفرهم وعنادهم فجاء الهلاك الكبير.

ظهرت سحابة سوداء في السماء، وظن قوم عاد أن هذه السحابة مقدمة لنزول المطـر وتحسن أحوالهم، ولكنها كانت في الحقيقة مقدمة للهلاك الفظيع.

وبعد السحابة السوداء، جاءت ريح شديدة دمرت كل شيء، ولم يقـف أمامهـا شـيء، استمرت هذه الريح سبع ليال وثمانية أيام، لم تترك شيئا إلا دمرته وتحولت مدينة إرم، وتحـول قوم عاد إلى هياكل خالية من الحياة مثل النخل الميت، يتحول إلى تراب إذا لمسه أحد، ولم يـنج من تلك الريح إلا هود والذين آمنوا معه.

س ر ه ف

(٤)

صالح عليه السلام

صالح عليه السلام هو أحد أنبياء الله، كان صالح عليه السلام أحد أنبياء قبيلة تسمى "ثمود"، وكانت هذه القبيلة تسكن في شمال الجزيرة العربية في منطقة تسمى "الحجر" وقد أعطى الله هذه القبيلة الكثير من النعم والخيرات فكانوا يمتلكون القصور الفخمة التي يبنونها في الأرض السهلة الممهدة، أو ينحتون بيوتا متينة في بطن الجبل، وكانوا يمتلكون الحدائق والمزارع وأشجار النخيل التي تعطي أجود أنواع البلح.

كان من المفروض أن تشكر قبيلة ثمود الله على هذه النعم والخيرات، ولكن الذي حدث كان العكس تماما، فقد تركوا عبادة الله تعالى، وعبدوا الأصنام، وبدلا من أن يكونوا صالحين أصبحوا مفسدين في الأرض، وأطاعوا عددا من الزعماء والرؤساء والفاسدين الظالمين، وقد كان في المدينة في ذلك الوقت تسع عصابات من الناس تدعو إلى الفساد وتمارسه، وكان لكل عصابة من هؤلاء رئيسا شديد الفساد والظلم.

كان صالح عليه السلام واحدا من هذه القبيلة، ولكنه كان يختلف عنهم حيث إنه رفض الظلم والفساد والشرك، فأرسله الله إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى وترك الشرك والظلم والفساد، كان قوم صالح يعرفون عنه الصلاح والعقل الراجح الكبير، وكانوا يشهدون له بذلك، وكان من المفروض أن يستجيبوا لدعوته ما داموا يثقون في عقله وصلاحه، ولكن الذي حدث كان على العكس تماما.

أخبر صالح قومه "ثمود" أنه رسول من الله، ودعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام؛ لأن الله هو الذي خلقهم، وهو الذي منحهم هذه النعم والخيرات، ولكن "ثمود" عاندت ورفضت، وقالوا كيف نترك الآلهة التي كان آباؤنا يعبدونها، وقالوا لصالح عليه السلام إننا كنا نعتبرك رجلا عاقلا حكيما فكيف تأمرنا بذلك؟ وآمن مع صالح عدد قليل من الناس، ومعظم هؤلاء المؤمنين كانوا من الفقراء والضعفاء، وحاول الزعماء والأقوياء والأغنياء إعادة هؤلاء المؤمنين إلى الكفر، وقالوا لهم إن صالحا يخدعكم، وهو ليس رسول من الله، إلا أن هؤلاء المؤمنين تمسكوا بإيمانهم.

وبدأت ثمود تشن حملة من الإشاعات ضد صالح، قالوا عنه إنه كاذب معروف بالكذب دائما ثم طلبوا منه أن يتوقف عن الدعوة، فرفض ذلك وأخبرهم أنه على الحق، وأن هذه الدعوة رحمة من الله، وأنه إن عصى الله تعالى فلن يستطيع أحد أن ينصره أو يحميه من الله تعالى، وسوف يصل إلى الخسارة المؤكدة لو أطاعهم. ثم طلب منهم أن يستخدموا عقولهم في التفكير؛ لأن التفكير السليم يقود إلى الإيمان بالله ونبههم إلى التفكير في خلق السماوات والأرض ليعرفوا

أن الله هو الذي خلق تلك السماوات وخلق هذه الأرض وأنهم إذا آمنوا سيغفر الله لهـم ذنـوبهم جميعا.

وفي أحد الأيام تجمع عدد من زعماء ثمود ورؤسائها وقال بعضهم لبعض لقد فشلت كل الوسائل في منع صالح من الاستمرار في دعوته.

وقالوا أيضا لماذا يكون صالح نبيا رسولا، وهو بشر مثلنا.

قال أحدهم، وكان يتميز بالخبث والدهاء والمكر، يجب أن نطلب من صـالح أن يأتينـا بشيء خارق لا يستطيع أحد أن يفعله حتى يثبت لنا أنه نبي من عند الله.

فرح القوم بهذه الحيلة وظنوا أنهم سوف يقضون على دعوة صالح بهذه الحيلـة عنـدما يعجز عن تلبية طلبهم وجاء عدد منهم إلى صالح عليه السلام، وقالوا له: يا صالح، أنت مصاب بالسحر، وبسبب إصابتك بالسحر، فإنك تقول هذا الكلام، وإذا أردت أن تثبـت صـحة كلامـك فعليك أن تأتينا بمعجزة.

دعا صالح ربه أن يؤيده بمعجزة، فاستجاب الله لدعائه وأمر الله صخور الجبل فانـشقت وخرجت منها ناقة، وجميع القوم ينظرون، خلق الله الناقة من الصخور، وكانت هـذه معجـزة حيث لم تولد هذه الناقة من أم وأب، تعجب القوم من ذلك وشعروا بالخوف إلا أنه لم يـؤمن إلا القليل منهم، رغم ذلك، طلب منهم صالح عليه السلام أن يتركوا الناقة ترعى في المزارع حيث تشاء، وطلب منهم ألا يصيبوها بأي سوء وإلا أصيبوا بعذاب شديد وانتقام كبير من الله وطلـب منهم صالح عليه السلام أيضا أن يتركوا الناقة تشرب من الآبار وحدها في يـوم، وأن يـشربوا جميعا وكذلك تشرب باقي الحيوانات في اليوم التالي، فكان هناك يوم تشرب فيه الناقة فقط ويوم آخر لباقي الحيوانات وجميع الناس، ويقال إن هذه الناقة كانت تدر لبنا كثيرا جدا يكفـي حاجـة الناس جميعا فكانوا يشربون جميعا من هذا اللبن ولا ينفد.

وكان من المفروض بعد هذه المعجزة أن يؤمن أهل ثمود بدعوة صالح، ولكنهم كـانوا أغبياء مغرورين، فلم يؤمن منهم إلا عدد قليل.

وعاش أهل ثمود فترة من الزمن لا يصيبون الناقة بأي سوء خوفا من أن يقـع علـيهم الانتقام الذي حذرهم منه صالح عليه السلام، ومع مرور الوقت بدأ عدد منهم يفكر في قتل هـذه الناقة، ولكن كل واحد من هؤلاء خاف أن يقتلها بنفسه.

وكان هناك رجل منهم معروف بالقسوة والغلاظة، وكان سفاحا مجرما فطلبـوا منـه أن يقتل الناقة مقابل مبلغ كبير من المال.

استعد هذا السفاح لقتل الناقة، ولكنه كلما تذكر ما قاله صالح عن الانتقام الكبير والعذاب الشديد لمن يؤذي هذه الناقة خاف وتراجع، ووسوس له الشيطان أن يشرب الكثير مـن الخمـر فيفقد وعيه وينسى ما قاله صالح ثم يقتل الناقة.

وشرب السفاح الخمر، شرب الكثير جدا، ثم تقدم إلى الناقة وقتلها.

وعندما علم صالح بهذا الأمر، أدرك أن الهلاك سيصيب القوم، فأخبرهم بذلك وقال لهم إن هذا العذاب والهلاك سوف يصيبهم بعد ثلاثة أيام.

استخف القوم بهذا الإنذار، وقالوا لصالح إننا نتشاءم منك ونتشاءم من المؤمنين الذين معك.

وازداد غرور القوم حيث ظنوا أنه لن يصيبهم الهلاك بعد قتل الناقة، فاجتمعوا وقرروا قتل صالح وأهله ليلا حتى لا يراهم أقارب صالح ولا يعرفون من قتله فيثأرون منه، واتفقوا أيضا على أن يقسموا بعد ذلك أمام أقارب صالح أنهم لم يقتلوا صالحا، ولم يعرفوا أيضا من قتله.

كان هؤلاء الكفار يدبرون المؤامرات سرا، ولكن الله كان يعلم كل شيء، فأمر الله نبيه صالحا، ومن معه من المؤمنين أن يخرجوا من هذه البلدة وأن يتركوا هؤلاء القوم؛ لأن عذاب الله وانتقامه سيصيبهم قريبا.

خرج صالح، ومن معه من المؤمنين، وابتعدوا عن هؤلاء القوم.

مرت الأيام الثلاثة، وفي الموعد المحدد، انطلقت صيحة عظيمة تسببت في دمار كل شيء، وقتلت الكافرين جميعا.

ونجى الله صالحا، ومن معه من المؤمنين.

وعندما نظر صالح إلى الكفار بعد أن هلكوا جميعا قال إنه قد بلغ رسالة ربه، ونصح لهم، ولكنهم كانوا أغبياء لا يستمعون إلى النصيحة.

(٥)

إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام هو أحد أنبياء الله، وهو نبي صديق صالح، أعطاه الله مكانة عالية في الدنيا والآخرة، وقد اتخذه الله خليلا أي مقربا إلى الله محبوبا عنده، وهو أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده، فمن أولاد إبراهيم عليه السلام كل من إسماعيل وإسحاق، أما إسماعيل فهو الجد الأكبر لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وإسحاق هو الذي جاءت باقي الأنبياء من نسله مثل يعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان واليسع وإلياس ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وكان إبراهيم عليه السلام يتميز بالحكمة والرشد والعقل منذ صغره.

كان إبراهيم عليه السلام مسلما، وقد أمره الله بالدعوة إلى الإسلام؛ لأن الإسلام هو دين الله الحق، وقد دعا جميع الأنبياء من قبل إبراهيم، ومن بعده إلى الإسلام من أول آدم وحتى محمد صلى الله عليه وسلم.

ولد إبراهيم عليه السلام في بلاد العراق، وسافر بعد ذلك إلى الكثير من بلاد الشام وفلسطين ومصر والجزيرة العربية، ومات ودفن ببلدة صيرون وبها قبره، وهي تسمى "مدينة الخليل" بفلسطين الآن.

نشأ إبراهيم عليه السلام في بيئة يعبد أهلها الأصنام، ولكن إبراهيم عليه السلام كان يتميز بالذكاء والحكمة، وكان يستخدم عقله في التفكير، فرفض أن يعبد الأصنام مثلهم؛ لأنه رآها لا تضر ولا تنفع ولا تحس ولا تتكلم، وليس لها أي قيمة على الإطلاق، رفض إبراهيم أن يقلد الناس في عبادة الأصنام؛ لأن الإنسان العاقل لا يقلد الآخرين إذا كانوا على خطأ، بل عليه أن يستخدم عقله ويفكر، فيقبل ما هو صحيح ويرفض ما هو خطأ.

كان إبراهيم ينظر فيما حوله من الأشياء، الأرض والشمس والقمر والنجوم، كان يتأملها ويفكر، كان يريد أن يعرف الله الذي خلق كل هذه الأشياء، في أحد الليالي رأى إبراهيم عليه السلام كوكبا مضيئا في السماء، فكر إبراهيم هذا الكوكب المضيء هو ربه، بعد فترة اختفى هذا الكوكب أدرك إبراهيم أن هذا الكوكب الذي يظهر ويختفي ليس هو الإله، ثم رأى إبراهيم عليه السلام القمر ينشر أشعته المضيئة، فكر إبراهيم هل القمر هو الإله، بعد فترة اختفى القمر فعرف إبراهيم أن القمر ليس هو الإله، ذهب الليل وجاء الصباح فظهرت الشمس، أرسلت الشمس حرارتها وضياءها إلى الأرض، فكر إبراهيم أن الشمس أكبر من الكواكب وأكبر من القمر، فهل هي الله، عند المغرب اختفت الشمس، أدرك إبراهيم عليه السلام أن الشمس ليست هي الإله، أخذ إبراهيم يفكر ويفكر، فهداه عقله وقلبه إلى أن الله تعالى هو الذي خلق الأرض والسماء والشمس

سروف

والقمر والكوكب، فرح إبراهيم بأن الله هداه إليه من خلال التفكير، وأعلن للجميع أنه لا يـؤمن بكل هذه الآلهة المزيفة التي يعبدها الناس، إنما يؤمن بالله الواحد الذي خلـق النـاس والأرض والسماوات والشمس والقمر والنجوم وكل شيء.

عندئذ كلفه الله بالرسالة، وأخبره أنه نبي، وأن عليه أن يدعو قومه للإسـلام؛ أي إلـى عبادة الله وحده.

كان إبراهيم يعرف أن الإسلام نعمة كبرى، وهو طريق إلى الفوز والنجاة فـي الـدنيا والآخرة، كان إبراهيم يحب أباه فأراد أن يدعوه إلى الإسلام لكي ينقذه من الضلال، قال إبراهيم لأبيه: يا والدي لماذا تعبد هذه الأصنام، وهي لا قيمة لها، فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تملك لك نفعا ولا ضرا.

ثم أضاف: أرجوك يا والدي أن تطيعني؛ لأن الله هداني إلى الحـق وعلمنـي طريـق الرشاد.

ولكن والده رفض الاستجابة لدعوة ابنه، وخاف إبراهيم عاقبة الكفر على أبيه، فنـصحه ألا يسير في طريق الشيطان؛ لأن من يسير في طريق الشيطان يصبح تابعا لـه، ويـصل فـي النهاية إلى الخسارة في الدنيا والآخرة. فهدده الأب بالقتل والرجم بالحجـارة، وطلـب منـه أن يقاطعه ولا يسكن معه، وقال إبراهيم لأبيه سوف أستغفر لك الله، ولكن الأب لـم يـستمع إلـى نصيحة الابن وأصر على الكفر وتمسك بعبادة الأصنام، عندئذ أدرك إبراهيم أنه لا فائـدة مـن دعوة أبيه إلى الإسلام، فتبرأ منه؛ لأن الإنسان المؤمن يفضل رابطة الإيمـان والتقـوى علـى رابطة الدم.

لم يكتف إبراهيم بدعوة أبيه إلى الإسلام؛ بل دعا كل الناس إلى الإسلام؛ لأنه كان يحب الخير لهؤلاء الناس، ويحب أن ينقذهم من الضلال والمعصية، قال إبراهيم لقومه لماذا تعبـدون هذه الأصنام، وهي لا تنفع ولا تضر، لا تسمع ولا تتكلم ولا تستطيع أن ترزقكم؟

لماذا لا تفكرون بعقولكم؟ فتؤمنون بالله الذي خلق كل شيء تؤمنون بالله الذي يـرزقكم الطعام والشراب، ويشفيكم من المرض إذا مرضتم، وهو الذي يميتكم ثم يحيـيكم يـوم القيامـة فيحاسبكم على أعمالكم، وطلب منهم إبراهيم أن يسيروا في الأرض لينظروا كيف بـدأ الخلـق، ويفكروا في ذلك ليهتدوا إلى الله، كان هؤلاء القوم أغبياء فلم يستجيبوا لـدعوة إبـراهيم كـانوا يقلدون الآباء والأجداد من دون تفكير، قالوا إننا نعبد ما كان يعبد آباؤنا وأجدادنا، وهـذه حجـة تافهة؛ لأن الإنسان العاقل يجب أن يفكر في كل شيء، فلا يقبل كل تقاليد وعادات وعقائد الآباء والأجداد بدون تفكير بل عليه أن يفكر فيها ويأخذ ما هو صحيح منها ويترك ما هو خطأ.

وبدلا من أن يؤمن هؤلاء القوم، اتهموا إبراهيم بأنه لا يخدم آلهـتهم ويـسخر منهـا، وحذروه من عقوبة تنزلها به هذه الآلهة، فأخبرهم إبراهيم عليه السلام أنه لا يخاف هذه الآلهة،

سروف

وهي لا تستطيع أن تفعل له شيئا؛ لأن الأمر كله بيد الله وحده، بل إن الذي عليه أن يخاف هـو من يكفر بالله ويعبد آلهة لا قيمة لها.

أراد إبراهيم عليه السلام أن يثبت عن طريق التجربة أن هذه الآلهة لا تنفع ولا تـضر؛ بل هي لا تستطيع أن تمنع الضرر عن نفسها، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها، فهـي أصـنام جامدة لا تسمع ولا تبصر ولا تأكل ولا تحس، بل هي مجرد حجارة صنعوها هم بأيديهم علـى هيئة تماثيل.

في أحد الأيام، كان المعبد الذي فيه هذه الأصنام خاليا من الناس، لم يكن هناك أحد من الناس، على الإطلاق، حمل إبراهيم عليه السلام فأسا وذهب إلى المعبد، ودخـل دون أن يـراه أحد، وأخذ يكسر هذه الأصنام واحدا بعد الآخر، وترك الصنم الأكبر ولم يكـسره، بـل وضـع الفأس على رقبته، ثم عاد إلى بيته في هدوء.

بعد فترة قصيرة دخل أحد الناس إلى المعبد، فوجد جميع الأصنام قد تكسرت وتحولـت إلى قطع صغيرة من الحجارة، ورأى فأسا معلقا في رقبة أكبر الأصنام صـرخ الرجـل مـن المنظر وتجمع الناس ورأوا ما حدث.

كان من المفروض أن يفكر هؤلاء الناس، فهذه الأصنام وقد تكسرت ولـم تـدافع عـن نفسها لا تصلح أن تكون آلهة، ولكن بدلا من التفكير في هذه الأصنام التي لا تستطيع أن تحمي نفسها من التكسير، راح هؤلاء الناس يفكرون في البحث عن هذا الذي فعل ذلك لكـي يعـاقبوه عقابا شديدا على ذلك.

تذكر هؤلاء الناس في تلك اللحظة أن إبراهيم عليه السلام كان يعلن دائما أن هذه الآلهة لا قيمة لها، وكان يدعوهم إلى ترك عبادتها ولم يكن يخدمها أو يعبدها مثلهم بل كان دائما يسخر منها، ويقول إنها أصنام لا تنفع ولا تضر، لا بد أنه هو الذي فعل هذا الأمر وتصايح النـاس لا بد من القبض على إبراهيم وعقابه عقابا شديدا على ما فعله بالآلهة.

انطلق الناس في كل مكان للبحث عن إبراهيم، حتى وجدوه وأحضروه أمـام زعمـائهم لمحاكمته.

تجمع الناس في مكان واسع، ووقف إبراهيم أمام زعماء القوم، كان منظرا مثيرا.

فالزعماء يجلسون في مكان عال، وأمامهم إبراهيم عليه السلام، بينما وقف الناس جميعا يشهدون ويستمعون إلى الحوار بين إبراهيم وزعمائهم.

قال أحد زعماء القوم لإبراهيم:

ـ هل أنت الذي كسرت الآلهة بالفأس يا إبراهيم؟

قال إبراهيم عليه السلام: لقد وجدتم الفأس معلقا في رقبة كبير الأصنام، فربما يكـون هو الذي فعل ذلك، كان إبراهيم عليه السلام يسخر منهم، ويحاول أن يعلمهم درسا لعلهم يفكرون أو يستخدمون عقولهم، ثم قال لهم: اسألوا هذه الأصنام عمن فعل هذا بها.

قال الزعماء: إنهم لا يسمعون ولا يتكلمون فكيف نسألهم؟

قال إبراهيم: كيف تعبدونهم وهم لا يسمعون ولا ينطقون؟

شعر الزعماء عندئذ بالخجل والعجز، ولم يستطيعوا أن يردوا على إبراهيم؛ لأنه قال لهم حجة قوية لا يمكن الرد عليها، فهذه الأصنام فعلا لا تسمع ولا تنطق.

همس الزعماء لبعضهم بعضا، إن هذه الآلهة فعـلا لا تـسمع ولا تنطـق، وخفـضوا رءوسهم ولم يستطيعوا أن ينظروا إلى إبراهيم.

عندئذ قال لهم إبراهيم: إنكم أغبياء، لا تحتكمون إلى العقل والتفكير السليم.

كان المفروض أن يعود هؤلاء الزعماء إلى الحق بعد أن أثبت لهم إبـراهيم بالتجربـة صحة كلامه، وكان من المفروض أن يؤمن الناس بدعوة إبراهيم بعد أن رأوا بأعينهم وسـمعوا بآذانهم كل ما حدث، ولكن عقولهم غابت رغم ذلك، ورفضوا الاحتكام إلى المنطـق والتفكيـر، وحتى لا يعطوا أنفسهم فرصة للتفكير، صاحوا لا بد من حرق إبراهيم، لا بد من الانتقام للآلهة.

وتقدمت مجموعة من الناس، فوضعت القيود في يدي إبراهيم ورجليه، وذهب آخـرون فأحضروا كمية كبيرة من الخشب والحطب والوقود، وقامت مجموعة ثالثة بحفر حفرة كبيـرة، ووضعوا الأخشاب والحطب والوقود في الحفرة، وأشعلوا فيها النار.

كانت نارا كبيرة جدا، كانت تلسع من يقترب منها، ابتعد الناس عنها ووقفوا في مكـان بعيد حتى يروا حرق إبراهيم عليه السلام.

كان إبراهيم في تلك اللحظات صابرا، لا يخاف النار ولا يفكر إلا في الله تعالى، كـان يسبح الله ويحمده.

جاء جبريل عليه السلام، وهو من ملائكة الله تعالى وسأله هل تريد شيئا يا إبراهيم، فرد عليه إبراهيم أنه لا يريد شيئا سوى أن يرضى الله عنه.

وتقدم عدد من الناس المعروفين بالقسوة وغلاظة القلب وألقوا إبراهيم في النار، ولكن الله تعالى، وهو القـادر علـى كـل شـيء أمـر النـار إلا تحـرق إبـراهيم، قـال الله لهـا: ﴿ **يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم** ﴾ وأطاعت النار أمر الله؛ لأن كل شيء في هذا الكون يخضع لإرادة الله تعالى.

انتظر الناس حتى تهدأ النار، وكانوا يتوقعون أن يتحول إبراهيم إلى رماد محترق، ولكن كانت هناك مفاجأة فما إن هدأت النار حتى خرج إليهم إبراهيم سليما.

كان إبراهيم عليه السلام يبتسم، وكان يردد بهدوء الحمد لله، سبحان الله.

صاح الناس من الدهشة والعجب، وسأل بعضهم بعضا كيف دخل إبراهيم هذه النار ولم يحترق ولم يصب بأي أذى، كان المفروض أن يدركوا بعد ذلك إن إبراهيم على الحق، وأن الله الذي يعبده إبراهيم هو وحده الإله الحق القادر على كل شيء، ولكن الناس استمروا على الكفـر والعناد.

انتشرت أخبار إبراهيم في كل مكان، وتحدث الناس عنه، وكان هناك ملك يحكم الـبلاد كلها، كان يقول للناس إنه ربهم، خاف ذلك الملك على عرشه، خاف أن ينصرف النـاس عـن عبادته إلى عبادة الله وحده الذي يدعو إليه إبراهيم.

أمر الملك بإحضار إبراهيم إليه، وعندما حضر أراد الملك أن يثبت أنه على الحق فسأل إبراهيم ماذا يستطيع إلهك أن يفعل أكثر مني؟

قال إبراهيم: ربي يحيي ويميت.

قال الملك: أنا أحيي وأميت.

ثم قام الملك باستخدام حيلة ساذجة، أحضر أحد الناس وأمر بقتله فلما مات قال الملك أنا إذن أميت.

ثم أحضر أحد الرجال المحكوم عليهم بالإعدام، وعفا عنه وقال وأنا بذلك أحيي.

قال إبراهيم عليه السلام: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فهل تستطيع أنت أن تأتي بها من المغرب؟ عندئذ أحس الملك بالعجز، وسكت ولم يستطع أن يرد، فانصرف إبراهيم من عنـد الملك وتركه غارقا في عرق الخجل والعجز.

استمر إبراهيم يدعو الناس إلى عبادة الله وحده، ولكن أحدا لم يستجب له، ولم يؤمن معه إلا زوجته السيدة سارة وابن أخيه لوط عليه السلام، قرر إبراهيم أن يهاجر مـن هـذه البلـدة، وخرج إبراهيم عليه السلام ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط، ثم افترق عنه ابن أخيـه لـوط واستقر في إحدى بلاد الشام، وسافر إبراهيم إلى مصر، كانت السيدة سارة لا تلد وتقدم بها السن وأصبحت عجوزا، وكان ملك مصر قد أهدى إليها سيدة مصرية لتكون في صـحبتها، فقامـت السيدة سارة بتزويج هذه السيدة المصرية إلى إبراهيم، كانت تلك السيدة المصرية تسمى هـاجر، وبعد فترة من زواجها بإبراهيم، حملت ثم وضعت طفلا هو إسماعيل عليه السلام.

وبعد ولادة إسماعيل، حملت السيدة سارة هي الأخرى ووضعت طفلا آخر هو إسـحاق عليه السلام، وكان هذا أمرا عجيبا حيث إن السيدة سارة عجوز لا يمكن أن تحمل وتلد، ولكنـه أمر الله، والله على كل شيء قدير.

كان إبراهيم يعبد الله دائما، ويدعو الناس في كل مكان يذهب إليه إلى الإسلام، وعبـادة الله وحده، وكان يتنقل بين المدن والصحراء والجبال، كان إبراهيم يؤمن بالله وحده ويؤمن بـأن الله يحيي الموتى يوم القيامة ليحاسبهم على أعمالهم، وأراد إبراهيم أن يـرى كيـف يحـي الله الموتى فدعا الله أن يريه كيف يحيي الموتى - كان إبراهيم مؤمنا بقدرة الله على إحياء الموتى، ولكنه أراد أن يزداد إيمانا على إيمانه وثقة على ثقته واطمئنانا علـى اطمئنانـه واسـتجاب الله لدعائه، فأمره الله تعالى بأن يأخذ أربعة من الطيور ويذبحها ويقطعها إلى قطع كثيرة متفرقة ثم يفرق هذه الأجزاء على عدد من الجبال، ففعل إبراهيم ذلك ثم أمره الله أن يدعوها إليـه، فـإذا بالأجزاء تتجمع والطيور المذبوحة المتقطعة تعود إلى الحياة وتطير وتأتي إليه.

اطمأن قلب إبراهيم عليه السلام وازداد إيمانا بالله تعالى، وحمـد الله علـى اسـتجابته لدعائه.

في أحد الأيام، وكان إسماعيل لا يزال طفلا رضيعا طلب إبراهيم من هاجر أن تـستعد للسفر، وبدأ إبراهيم عليه السلام رحلته إلى الجزيرة العربية ومعـه هـاجر وطفلهـا الرضـيع إسماعيل، سار إبراهيم حتى وصل إلى مكان صحراوي لا ماء فيه ولا يسكنه أحد، لم يكن هناك زرع ولا أشجار، لم يكن هناك طعام أو شراب.

ترك إبراهيم زوجته وابنه الرضيع في ذلك المكان وترك معهما قليلا من الطعام والماء، ثم انصرف راجعا، أسرعت زوجته هاجر تسأله لماذا تتركنا في هذا المكان؟

فأجابها إبراهيم أن هذا الأمر هو أمر الله، وسار إبراهيم في طريقـه وأخـذ يـدعو الله لزوجته وابنه بالرزق والهداية وتعمير المكان الذي نزلا به، عندئذ اطمأنت هـاجر، وأطاعـت زوجها، وتركته يذهب بينما بقيت هي وطفلها في الصحراء، كانت سيدة مؤمنة تقبـل أمـر الله مهما كان.

نفد الماء والطعام سريعا، أحست هاجر بالجوع والعطش، كانت ترضع إسـماعيل مـن ثدييها، إلى أن نفد اللبن من ثدييها، لم يعد هناك لبن في صدرها ولم يعد معها طعام أو شـراب، أحس الطفل بالجوع والعطش، أخذ يبكي، الأم تعطيه ثديها، ولكنه يظل يبكي حيـث إنـه لـيس بالثدي لبن.

تركت الأم وليدها الصغير وراحت تبحث عن الماء والطعام، ولكن المكان لم يكـن بـه ماء أو طعام.

وجدت أحد الجبال فصعدته حتى تستطيع أن تنظر من فوقه إلى الصحراء فربمـا تجـد قافلة من الناس تحصل منها على طعام أو شراب، وربما تجد بئر ماء قريب تـذهب إليـه مـع وليدها لتشرب.

لم تجد الأم شيئا، نزلت من فوق الجبل، وذهبت إلى مكان آخر، سارت على قدميها مدة حتى وصلت إلى جبل ثان فصعدت فوقه لترى الصحراء أمامها فربما تجد قافلة أو تبصر عـين ماء.

لم تجد الأم شيئا

أخذت الأم تجري من هذا الجبل، إلى ذلك الجبل سبع مرات، كان هذان الجـبلان همـا الصفا والمروة.

تعبت الأم من الجري بين الجبلين، فعادت وجلست إلى جوار ابنها الصغير الذي كان لا يزال يبكي، كانت الأم في أشد حالات الجوع والعطش والتعب، وكان الطفل يصرخ مـن شـدة الجوع والعطش، كانت الأم رغم ذلك تثق في رحمة الله.

وفجأة ضرب إسماعيل الأرض بقدمه، وهو يبكي فانفجرت تحت قدمه بئر ماء هي بئر زمزم وظهر الماء وشربت الأم، والطفل وبدأ الناس يأتون إلى هذا المكان طلبا للماء، وأصبح هذا المكان عامرا بالناس بعد كان خاليا منهم، وهذا المكان هو مكة المكرمة.

كان إبراهيم عليه السلام يأتي من حين إلى آخر ليطمئن على الأم وابنها، واستمرت هاجر وإسماعيل يعيشان في هذا المكان حتى أصبح إسماعيل فتى قويا، كان إسماعيل فتى صالحا يطيع والديه، وكان إبراهيم عليه السلام يحبه حبا شديدا.

وأراد الله أن يمتحن إبراهيم وإسماعيل، فرأى إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه، كان إبراهيم يعرف أن رؤيا الأنبياء صادقة، وأن هذا المنام معناه أن الله يأمره بذبح ابنه، وكان إبراهيم لا يعصى لله أمرا، فذهب إلى ابنه إسماعيل وقال له إنه رأى في المنام أنه يذبحه، وفهم إسماعيل على الفور معنى ذلك، فهم أن الله يأمر إبراهيم بذبح إسماعيل.

لم يتردد إسماعيل في طاعة الله ثم في طاعة والده إبراهيم، وقال لوالده على الفور أن يفعل ما أمره الله به، وإنه سوف يصبر على ذلك إن شاء الله تعالى.

أخذ إبراهيم إسماعيل معه وسارا في الطريق إلى المكان الذي ستتم فيه عملية الذبح، وكان إبراهيم يحمل معه السكين الذي سوف يذبح به ابنه، وكان إسماعيل يسير مع أبيه بدون اضطراب؛ لأنه كان من الصابرين.

وصل الأب والابن إلى المكان، وأرقد إبراهيم ابنه إسماعيل على الأرض، ورفع السكين ليذبح بها ابنه، عندئذ أمره الله أن يتوقف وأنزل إليه كبشا سمينا ليذبحه بدلا من إسماعيل، وهكذا نجح إبراهيم في الاختبار، ونجح إسماعيل في الاختبار، وكان هذا اليوم يوما عظيما وعيدا لكل المسلمين ولا يزال المسلمون يحتفلون بهذا اليوم في كل مكان وزمان، إنه يوم عيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة من كل عام، وما يزال المسلمون يذبحون الذبائح في ذلك اليوم تكريما لذكرى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ظل إسماعيل يعيش في ذلك المكان، وبعد عدة سنوات أخرى جاء إبراهيم وأخبر إسماعيل أن الله أمره ببناء مسجد يعبد فيه الله تعالى وحده، وعلى الفور استجاب إسماعيل لأبيه وبدآ معا بناء هذا المسجد، وهو "الكعبة" التي يتجه إليها المسلمون في صلاتهم، والتي يحج إليها عدد كبير من المسمين في كل عام.

وأنزل الله لهما حجرا هو الحجر الأسود، ووضعه إبراهيم وإسماعيل في مكانه المعروف بالكعبة، وبعد الانتهاء من البناء أمر الله إبراهيم أن يؤذن، فقام إبراهيم بالأذان، ومنذ ذلك اليوم يأتي الناس إلى الكعبة من كل مكان ليحجوا إليها.

وقد دعا كل من إبراهيم وإسماعيل الله تعالى أن يتقبل منهما هذا العمل أي بناء الكعبـة، وكانا يدعوان الله أيضا أن يجعلهما مسلمين، وأن تكون ذريتهما ذرية مسلمة وأن يغفـر لهمـا، ومن دعائهما أيضا أن يرسل الله من أهل هذا المكان رسولا منهم يتلو عليهم آيـات الله ويعلـم الناس الإيمان والحكمة والرشاد، فتقبل الله دعاءهما، وكان هذا الرسول المقصود بذلك الدعاء هو محمد صلى الله عليه وسلم.

(٦)

إسحاق عليه السلام

إسحاق عليه السلام هو أحد أنبياء الله، وهو ابن إبراهيم عليهما السلام، وقد ولد إسـحاق لأبيه إبراهيم بعد ولادة أخيه إسماعيل بعدة سنوات، ووالدة إسماعيل هي هاجر المصرية، أمـا والدة إسحاق فهي السيدة سارة. عليهم السلام جميعا.

ومن نسل إسماعيل جاء النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو خـاتم الأنبيـاء والمرسلين، ومن نسل إسحاق جاء باقي الأنبياء مثل يعقوب ويوسف وموسى وهارون ويـونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وذا الكفل وأيوب وزكريا ويحيى وعيسى وغيرهم.

ولولادة إسحاق قصة طريفة، ذلك أن إبراهيم عليه السلام كان قد أصبح كبيـر الـسن، وكانت زوجته السيدة سارة عاقرا لا تلد، وكانت قد أصبحت عجوزا يـستحيل عليهـا الحمـل والولادة، ولكن إرادة الله فوق كل مستحيل،

في أحد الأيام جاء عدد من الملائكة على صورة بشر ودخلوا على إبراهيم، فقام علـى الفور وذبح لهم عجلا سمينا وقدمه لهم، فلم يأكلوا منه، وفهم إبراهيم أنهم من الملائكة، وبشروه وزوجته سارة بغلام عليم، وهو إسحاق عليه السلام، وتعجبت زوجته تعجبا شديدا وصرخت من الدهشة، كيف تحمل وتلد، وهي عجوز لا تستطيع الحمل وزوجها رجل كبير، فأخبرتها الملائكة أن الله قادر على كل شيء وتعجب إبراهيم عليه السلام أيضا؛ لأنه كان كبير الـسن فأخبرتـه الملائكة أنها بشرى حقيقية وأن عليه ألا ييأس أبدا من قدرة الله ورحمته، فقال إبراهيم إن هـذا حق وإنه لا ييأس من رحمة الله إلا الضالون.

كان هؤلاء الملائكة الذين نزلوا ضيوفا على إبراهيم على هيئة البشر في طريقهم إلـى قوم لوط لتدميرهم وإهلاكهم عقابا لهم على الكفر والفاحشة، فطلب مـنهم إبـراهيم ألا ينزلـوا العقاب بتلك القرية؛ لأن فيها لوطا وأهله ومجموعة من المؤمنين، فقالت له الملائكة إن هذا أمر الله وإنهم يستحقون ذلك العقاب، وإن الله سوف ينجي لوطا والذين آمنوا معه وأهله إلا زوجتـه؛ لأنها كانت من الكافرين.

وبعد أن كبر إسحاق عليه السلام وتزوج رزقه الله بابنه يعقـوب، وهـو أبـو يوسـف وإخوته، ومن نسل يعقوب جاء بنو إسرائيل، وقد أخذ يعقوب عهدا على أبنائه من بعده أن يظلوا مسلمين على دين أبيهم إبراهيم، إلا أن كثيرا من بني إسرائيل بعد ذلك بدلوا وغيروا في الـدين وخرجوا عن ملة إبراهيم فاستحقوا غضب الله عليهم ويعقوب أيضا يسمى إسرائيل، ولذلك سمي بنو إسرائيل بذلك الاسم نسبة إلى أبيهم إسرائيل "يعقوب" بن إسحاق بن إبراهيم. عليهم السلام.

وقد قام إسحاق ببناء مسجد في بيت المقدس، وهو المسجد الذي أعاد سليمان عليه السلام بناءه بعد ذلك.

(٧)

لوط عليه السلام

لوط عليه السلام هو أحد أنبياء الله، أنعم الله عليه بالحكمة والعلوم الغزيرة فكان يتميـز بالحكمة والعلم.

كان لوط عليه السلام هو ابن شقيق إبراهيم عليه السلام، وعندما أرسل الله إبراهيم عليه السلام بالرسالة والدعوة آمن به ابن أخيه "لوط" عليه السلام، وكان لا يزال في ذلك الوقت فتـى صغير السن، واستمر لوط مع عمه إبراهيم مدة من الزمن ثم استأذنه في الهجرة إلى بلاد تسمى عمورية وسدوم بجوار البحر الميت.

كان يسكن في هذه البلاد قوم كافرون يعبدون الأصنام ويفسدون في الأرض ويمارسون المنكرات والأفعال القبيحة.

وكانوا يمارسون نوعا من الأفعال القبيحة لم يعرفه الناس قبلهم، وهو أنهم كانوا يحبون أن يأتي الذكر الذكر أي أن يمارس الذكر الرذيلة مع ذكر مثله، وهـذا الفعـل القبـيح يـسمى "اللواط"، وهو رذيلة كبيرة تؤدي إلى كثير من الأمراض ولهـا آثـار مـدمرة علـى النـاس والمجتمعات؛ لأن الله تعالى خلق الإنسان ذكرا وأنثى، وأمر أن يتزوج الـذكر بـالأنثى، وبعـد الزواج تكون المعاشرة الجنسية التي يترتب عليها الحمل والولادة فيكثر النـسل وتعمـر الـدنيا وتستمر الحياة، ولو عاشر الذكر الأنثى بدون زواج فإن ذلك يسمى "الزنا"، وهو فعل قبيح وذنب عظيم يدمر الأسرة والمجتمع ويجعل أنساب الناس تختلط فلا يعرف من هو الأب الحقيقـي لأي مولود تلده الأنثى.

وهكذا فإن الطريق الطبيعي الذي أحله الله للإنسان هو إتيان الذكر للأنثى بعد الـزواج، أما إذا لم يكن هناك زواج فإن ذلك يعتبر حراما ويسمى "زنا".

أما قوم لوط فإنهم تركوا الطريق الطبيعي للزواج بين الذكر والأنثى، ومارسـوا أقـبح الأفعال، وهو إتيان الذكر للذكر، وهذه جريمة أشد من جريمة الزنا، وعقوبتهـا الإعـدام فـي الإسلام للفاعل وللمفعول به على حد سواء.

جاء لوط عليه السلام إلى هؤلاء القوم واستنكر هذا الفعل الذي يفعلونه، وتـزوج لـوط عليه السلام من امرأة من هؤلاء القوم وأنجبت له عددا من البنات، فلما كلفه الله بالدعوة، دعـا هؤلاء القوم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، وطلب منهم أن يكفوا عن الفعـل القبـيح الذي يمارسونه، وهو إتيان الذكر للذكر، وأمرهم أيضا بالامتناع عن فعل كل المنكرات.

كان لوط عليه السلام يتعجب من هؤلاء القوم الذين يتركون زوجاتهم ويأتون الـذكور، وأخبرهم أن هذا عدوان على الفطرة وعمل قبيح له آثار فظيعة.

كان هذا الفعل القبيح قد انتشر بين هؤلاء القوم انتشارا واسعا حتى إن الأمر أصبح بينهم أمرا عاديا لا يستنكره أحد، لا النساء ولا الرجال.

وكانت امرأة لوط نفسها لا تستنكر على قومها هذا الفعل بل توافقهم عليه.

لم يبق في هذه البلدة أحد يستنكر هذا الفعل ولا يمارسه إلا لوط عليه السلام وأهله، حتى إن أهل هذه البلدة قالوا فيما بينهم، يجب أن نخرج لوطا وأهله من هذه البلدة؛ لأنهم طاهرون لا يحبون هذا الفعل الذي نفعله.

كانت الأمور قد وصلت إلى أقصى أنواع الفساد، لدرجة أن الذين يحبون الطهارة والنقاء مثل لوط وأهله أصبحوا غير مقبولين من أهل هذا البلد.

وأراد الله تعالى أن يهلك هذه البلدة وأهلها جزاء على ما يفعلون، فأرسل الله عددا مـن الملائكة على صورة البشر، ومر هؤلاء الملائكة على سيدنا إبراهيم فأخبروه بما أمـر الله بـه بشأن قوم لوط، وبشروه بولادة غلام له من زوجته سارة، ثم ذهبوا إلى قرية لوط، جاء هـؤلاء الملائكة على لوط فظن أنهم بشر وطرقوا عليه الباب، وطلبوا منه أن يسمح لهم بدخول منزلـه والإقامة فيه.

أحس لوط عليه السلام أنه في مأزق، وفي موقف صعب؛ لأنه يعرف رغبة أهل القرية في إتيان الذكور من دون النساء، فإذا علموا بوجود هؤلاء الرجال في بيته فسوف يحـاولون أن يفعلوا بهم هذا الفعل القبيح.

تضايق لوط عليه السلام من هؤلاء الضيوف وحاول أن يصرفهم عن بيته وعن البلـدة كلها، ولكنهم أصروا على البقاء فتعجب منهم، كيف يريدون البقاء في هذه البلدة التـي يمـارس أهلها هذا النوع من المنكرات، وفي أثناء ذلك ذهبت امرأة لوط إلى قومها لتخبرهم بوجود هؤلاء الرجال في بيت لوط عليه السلام، كانت امرأة لوط امرأة كافرة رغم أنها زوجة لأحد أنبياء الله، وهو "لوط".

جاء أهل البلدة من كل مكان، وأخبر بعضهم بعضا بهذا الصيد الثمين، وكانوا يأملون في الحصول على هؤلاء الرجال لممارسة الرذيلة معهم.

اندفع الناس على بيت لوط، وعرف لوط عليه السلام ما يريدون، وقـال لهـم هـؤلاء ضيوف، وتوسل إليهم ألا يسببوا له فضيحة بممارسة هذا الفعل القبيح مع هؤلاء الضيوف، وقال لهم يجب أن تكونوا من العقلاء وتعجب أنه ليس فهم رجل واحد حكيم أو عاقل. ولكـن هـؤلاء القوم أصروا على فعل المنكر بهؤلاء الضيوف وأعلنوا في استهتار وبجاحة أنهـم لا يريـدون النساء بل يريدون هؤلاء الرجال.

وأخذ لوط عليه السلام يتوسل إليهم دون جدوى، وأحس لوط عليه السلام أنـه ضـعيف ليس لديه أنصار أقوياء يمنعون هؤلاء القوم عن هذا الأمر، وتوجه لوط بالدعاء والرجاء إلى الله

س ر ه ف

تعالى لكي ينجيه وأهله من هؤلاء الناس وأفعالهم القبيحة، وأعلن أنه بريء منهم، ومن أفعـالهم وسلم أمره إلى الله.

وعندئذ كشف الضيوف عن شخصياتهم الحقيقية وأخبروا لوطا عليه السلام أنهم ملائكة من عند الله جاءوا لكي يهلكوا هؤلاء القوم، وطمأنوا لوطا عليه السلام بأن هـؤلاء القـوم لـن يصلوا إليه ولن يفعلوا ما يريدون، وأخبروه أن عليه أن يخرج من هذه البلدة هو وأهلـه حتـى ينجو من الهلاك الذي سيصيب هؤلاء الناس، وأخبروه أيضا ألا يلتفت أحد إلى الخلـف أثنـاء الهروب، كما أخبروه أن زوجته سوف يصيبها الهلاك؛ لأنها كافرة مثل باقي القوم.

وطمس الله على عيون الناس الذين كانوا يحاصرون بيت لوط ويستعدون للانقـضاض على الضيوف، وخرج لوط عليه السلام وأهله ليلا ولم يلتفت منهم أحد إلا امرأته فإنها قد التفتت إلى الخلف، ويقال إن امرأة لوط لم تخرج معه من البلدة أصلا.

وفي الصباح سلط الله على تلك البلدة دخانا ونارا فتهدمت عن آخرها وأمطـر عليهـا حجارة صلبة أمرها الله تعالى أن تقتل الكافرين واحدا واحدا فقتلت الكافرين جميعا ومنهم أيـضا امرأة لوط التي قتلت أيضا.

ونجى الله لوطا وبناته من هذا الهلاك الذي دمر البلدة وقتل أهلها جميعا.

(٨)

يوسف عليه السلام

يوسف عليه السلام هو أحد أنبياء الله، وهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وكلهم أنبياء الله؛ أي إن أباه وجده وأبا جده كلهم من الأنبياء.

كان يوسف فتى جميلاً شديد الجمال، وكان في نفس الوقت يتمتع بكل الصفات الحميدة والأخلاق العظيمة، كما كان يوسف عليه السلام قادرا على تفسير الرؤى التي يراها الناس أثناء النوم.

كان أبوه يعقوب عليه السلام قد أنجب اثنا عشر ولدا من الذكور منهم يوسف وأخيه الأصغر بنيامين.

وكان يعقوب عليه السلام يحب يوسف حبا شديدا، وفي أحد الأيام جاء يوسف، وكان لا يزال فتى صغيرا إلى أبيه يعقوب وأخبره أنه رأى أثناء نومه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له، وفهم الأب من هذه الرؤيا أن يوسف سوف يكون ذا شأن عظيم ومكانة عالية في الدنيا والآخرة فطلب منه ألا يخبر إخوته بهذه الرؤيا حتى لا يحسدوه ويتآمروا عليه.

كان يوسف وأسرته جميعا (يعقوب وأبناؤه) يعيشون في فلسطين في ذلك الوقت، وكان إخوة يوسف يحسدون يوسف ويشعرون أن والده يعقوب يحبه أكثر منهم، ووسوس الشيطان لهم أن يتخلصوا من يوسف.

قال بعضهم لا بد من قتل يوسف، فقال أحدهم الأفضل ألا نقتله، بل فقط نلقيه في أحد الآبار على طريق القوافل التجارية، فيراه بعض المسافرين الذين يذهبون إلى الآبار لجلب الماء، فيأخذونه معهم، وبذلك يذهب بعيدا، فلا يعرف أبوه مكانه، ونكون بذلك قد تخلصنا من يوسف الذي يحبه أبونا يعقوب ويفضله علينا جميعا.

ووافق باقي الإخوة على تلك الخطة، فذهبوا إلى أبيهم وطلبوا منه أن يرسل معهم يوسف في صباح الغد حيث يخرجون إلى الرعي، لكي يلعب ويجري ويستمتع بذلك فقال لهم الأب إنه يخاف أن يرسله معهم فيغفلون عنه فيأكله أحد الذئاب.

فقالوا لأبيهم لا تخف عليه، فسوف نحافظ عليه ونحرسه جيدا، وليس من المعقول أن يأكله الذئب ونحن أقوياء وعددنا كبير ونستطيع أن نحميه ونحرسه من الذئاب.

وبعد إلحاح شديد منهم وافق الأب على أن يرسل يوسف معهم فخرجوا جميعا في الصباح، واتجهوا نحو أحد الآبار، وألقوا يوسف في البئر في مكان مرتفع عن الماء فوق الصخرة التي تكون عادة في وسط البئر حتى لا يغرق في ماء البئر.

وبحيث يراه كل من يأتي لأخذ المياه من البئر، ثم ذبحوا إحدى الأغنام، وفي آخر النهار عاد الإخوة إلى المنزل وليس معهم يوسف وتظاهروا بالحزن والبكاء، وزعمـوا أنهـم ذهبـوا لمسابقة بعضهم بعضا، وتركوا يوسف عند الثياب وأوعية الطعام والشراب، فجاء أحد الـذئاب وأكله، وأحضروا القميص الذي عليه الدماء؛ حتى يراه الأب فيصدق أن الذئب أكل يوسـف، إلا أن الأب لم يصدق هذه الحكاية واتهمهم بالتآمر على يوسف، وقال لنفسه علي بالصبر والاستعانة بالله تعالى على ذلك.

استمر يوسف في البئر بعض الوقت، حتى جاءت إحدى القوافـل إلـى ذلـك المكـان، فأرسلوا بعضهم إلى البئر لجلب الماء اللازم للقافلة، فلما وصـل هـؤلاء إلـى البئـر وأرادوا استخراج الماء، وجدوا غلاما جميلا هو يوسف، ففرحوا به وأخذوه معهم بهدف بيعه بعد ذلـك، والحصول على بعض المال من عملية بيعه ثم رجعوا به إلى القافلة، واتجهـت القافلـة وفيهـا يوسف إلى مصر، وعندما وصلت القافلة إلى مصر اشتراه رئيس الشرطة في مصر منهم بثمن قليل وأخذه معه إلى بيته وطلب من زوجته أن تكرمه وتعامله معاملة حسنة.

استقر يوسف في بيت رئيس الشرطة في مصر، وكانت كلما مرت الأيام كبـر يوسـف وازداد جمالا وحسنا، وظهرت أخلاقه الحميدة وصفاته الكريمة، وبانت عليه علامـات الـذكاء والنبوغ والتفوق.

كبر يوسف في بيت رئيس الشرطة يوما بعد يوم، وكانت امرأة "العزيز" رئيس الشرطة تنظر إلى هذا الفتى الذي يزداد كل يوم جمالا على جماله فتشعر برغبة قويـة فـي أن تجعلـه عشيقا لها، إلا أن يوسف كان يهرب منها باستمرار؛ لأنه كان فتى مؤدبا كريم الأخلاق لا يحب أن يفعل المعصية.

وفي أحد الأيام شعرت زوجة العزيز برغبة قوية لم تستطع مقاومتها تجاه يوسف، وكان البيت خاليا من الجميع إلا يوسف وزوجة العزيز، فأغلقت كل الأبواب وتزينت وأظهرت جمالها وأنوثتها، وطلبت من يوسف أن يبادلها العشق والغرام، إلا أن يوسف رفض ذلك؛ لأنـه كـان يخاف الله، وهرب منها وجرى من أمامها باتجاه الباب ليفتحه ويخرج منـه، إلا أنهـا أمـسكت بقميصه وجذبته بقوة فانشق القميص وتقطع من الخلف، وفي تلك اللحظة جاء زوجها، ووجـدت زوجة العزيز نفسها في موقف حرج، فأسرعت بإلقاء التهمة على يوسف بأنه هو الـذي حـاول معها، إلا أن يوسف نفى ذلك عن نفسه، وهو صادق الطبع، وانتشر الخبر وجاء أحـد أقـارب الزوجة، وكان رجلا ذكيا حكيما فقال سنعرف الحقيقة إذا فحصنا القميص المنقطع، فلو كان هذا القميص قد تقطع من جانبه الأمامي لكان معنى ذلك أن يوسف هو الذي حاول تلك المحاولة مع زوجة العزيز، أما إذا كان القميص قد تقطع من جانبه الخلفي لكان معنى ذلك أن الزوجة هـي المخطئة وأن يوسف حاول الهرب منها، وأنه بريء.

س ره ف

وعندئذ جاءوا بالقميص المقطوع، وفحصوه جيدا، وعرفوا أن القميص قد تقطـع مـن الخلف؛ عرف الجميع أن يوسف بريء تماما، وقالوا لزوجة العزيز إنك أنت المخطئة وعليك ألا تعودي إلى مثل هذا مرة أخرى، وطلبوا من يوسف أن ينسى ما حدث ولا يخبر به أحدا، والتزم يوسف بذلك تماما ولم يخبر أحد بذلك ونسيه تماما، إلا أن البعض قد أذاع الخبر، وعرف عـدد كبير من نساء المدينة بالخبر وأخذن يسخرن من امرأة العزيز ووصفوها بـالحمق والـضلال؛ لأنها تطارد يوسف، وهو مجرد فتى يعمل عندها.

وشعرت زوجة العزيز بالحرج أمام أهل المدينة، وأرادت أن تدبر أمرا تثبـت بـه أن هؤلاء النسوة اللاتي يتحدثن عنها وسخرن منها لسن أفضل منها، وأنهن لو كن في مكانها ورأين جمال يوسف وحسنه لم يكن يقدرن على مقاومة الرغبة فيه وأرسلت زوجة العزيز إليهن جميعا، بدعوة إلى حضور مائدة أعدتها لهن، وفي الموعد المحدد جاءت هؤلاء النسوة، فأعطت امـرأة العزيز لكل واحدة منهن سكينا حامية بحجة تقطيع الطعام والفاكهة التـي قـدمتها لهـن بتلـك السكاكين، ثم أخرجت عليهن يوسف عليه السلام، فانبهرت النساء بجماله الشديد وفقدن السيطرة على أنفسهن، فأخذن يقطعن أيديهن بالسكاكين وهن لا يشعرن بذلك، وصـحن جميعـا أن هـذا أجمل فتى قد رأينه. عندئذ قالت لهن زوجة العزيز هذا هو الفتى الذي سخرتن مني بسببه، ومـا دمتن قد انبهرتن بجماله مثلي، فإنني الآن أعترف لكم بأنه بريء، وإنني أنا التي طاردته وطلبت منه ما طلبت، إلا أنه رفض ذلك دائما، وإنني أعلن لكم أيضا أنني سوف أحاول معـه مـرات أخرى حتى يستجيب ذلك، فإذا استمر في عناده ورفض فسوف أدخله السجن.

وعندما رأى يوسف ذلك وسمع ما قالته زوجة العزيز، دعا الله أن يبعد عنه كيد النساء، وأنه يفضل السجن على الاستجابة للمعصية، خاصة وأن كثيرا من النـساء أصـبحن يطـاردن يوسف ولم يعد الأمر قاصرا على زوجة العزيز وحده.

استمر يوسف متمسكا بالعفاف والطهر، ورفض المعصية مما أدى إلى دخولـه الـسجن رغم أنه بريء، والتقى يوسف في السجن بفتيين كان أحدهما قد رأى في المنام أنه يعصر العنب ويصنع منه خمرا، ورأى الثاني في المنام أنه يحمل خبزا فوق رأسه فتأكل منه الطيور، وطلبـا من يوسف أن يفسر لهما معنى ذلك.

وانتهز يوسف الفرصة وأخذ يدعو هذين الفتيين إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبـادة الأصنام، وأخبرهما أنه سوف يفسر لهما ما يريدان، ولكي يثبت لهما أنه يدعوهما إلـى الـدين الحق، وأن الله تعالى هو الذي علمه هذا العلم فإنه كان يخبرهما عن نوع الطعام الـذي سـوف يأتي إليهما في السجن قبل أن يأتي هذا الطعام.

وبعد أن أثبت لهما صحة ما علمه الله، وبعد أن دعاهما إلى الدين الحق وعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، قام بتفسير الرؤيا التي رآها كل منهما في المنام، فقال للأول إنـه سـوف يخرج من السجن ويقدم الخمر للملك، أما الثاني فسوف يقتل على الصليب فتأكل الطيـور مـن

س ره ف

رأسه، ثم طلب يوسف من الأول الذي سوف يخرج من السجن ويعمل في خدمة الملك أن يحكي للملك قصة يوسف وبراءته من التهمة التي سجن بسببها، وقد تحقق تفسير يوسـف للـرؤيتين، فخرج الرجل الأول من السجن وقتل الثاني على الصليب، إلا أن الرجل الذي نجا والذي أصبح يعمل في خدمة الملك فيقدم له الشراب والخمور قد نسي يوسف تماما ولم يحكِ للملك عنه وعن براءته من التهمة التي سجن بسببها ولبث يوسف في السجن عدة سنوات، وفي أحد الأيام صـحا الملك من نومه مضطربا فقد رأى في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سـبع بقـرات ضـعاف، ورأى أيضا سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات جافات يابسات، وطلب الملك من المستشارين أن يفسروا له هذا المنام، إلا أنهم عجزوا عن ذلك، وقالوا له إنها مجرد أحلام لا قيمة لها ولا تعني شيئًا.

وكان الرجل الذي كان مسجونًا مع يوسف ثم خرج من السجن وعمـل سـاقيا للملـك؛ موجودا في تلك اللحظة، فتذكر يوسف على الفور، وتذكر أنه كان يعرف تفسير الرؤى ويـدرك معناها بدقة، فقال للملك إن هناك من يستطيع تفسير تلك الرؤية وطلب منه أن يسمح له بالذهاب إلى السجن ومقابلة يوسف، فسمح له الملك بذلك، فذهب الرجل إلى يوسف وقص عليه الرؤيـا التي رآها الملك، وطلب منه تفسيرها، فقال له يوسف إنه سيأتي على مصر سبع سنوات يكـون فيها الإنتاج وفيرا، ثم تأتي سبع سنوات تجدب فيها الأرض فلا تنتج شيئا، وأن عليهم أن يدخروا من إنتاج تلك السنوات الخصبة لكي يواجهوا نقص الغذاء في السنوات المجدبة، وبعد انقـضاء السنوات السبع الخصبة والسنوات السبع المجدبة يأتي الخير مرة أخرى ويعود الرخاء.

رجع الرجل إلى الملك وأخبره بما حدث، وأحس الملك أن ذلك الـسجين علـى درجـة كبيرة من العلم، فأراد أن يستفيد من علمه وخبرته في إدارة أمور البلاد، فأمر الملك بإحـضاره من السجن، إلا أن يوسف رفض الخروج من السجن قبل أن يعرف الجميع براءته، فطلـب أن يسأل الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن ماذا حدث مع يوسـف، فأحـضرهن الملـك وسـألهن فاعترفن بأنهن طاردن يوسف إلا أنه رفض وأنهن يعترفن بأنه رجل طاهر بريء، وعندئذ قالت زوجة العزيز الآن ظهر الحق، واعترفت بذنبها وأن يوسف كان صادقا طاهرا، ثم أعلنت ندمها على ذلك وبذلك خرج يوسف من السجن وقد ظهرت براءته للجميع وطلبن منه الملك أن يعمـل معه في إدارة شئون البلاد، فاختار يوسف أن يكون وزيرا للخزانة والتمـوين، وقـام بأعمـال عظيمة لمصر، فاهتم بتخزين المحاصيل في أعوام الرخاء، ثم أخرج منها شيئا فشيئا في سنوات الجدب حتى انتهت سنوات الجدب وبذلك أنقذ مصر من المجاعة.

وكان يوسف في تلك الفترة يتمتع بسلطة كبيرة، تسمح له بتنفيذ كل مـا يريـد، وكـان الجميع ينفذون أوامره؛ لأن الملك قد أعطاه كل السلطات ووثق به ثقة كاملة.

وفي أثناء سنوات الجدب، كانت البلاد التي حول مصر مثل فلسطين وغيرها قد أصابها الجدب أيضا، وكانت الناس تأتي من تلك البلاد إلى مصر طلبا للمحاصيل التي كان يوسف قـد

سروف

خزنها في مخازن ضخمة، وكان يوسف رحيما بالناس جميعا في مصر، وفي خارج مصر فكان يعطي لكل من يأتي كمية من الحبوب والمحاصيل لمواجهة تلك المجاعة.

وكان إخوة يوسف قد جاءوا أيضا ضمن من جاء لطلب الحبوب والغذاء والمحاصيل من مصر، ولم يكن هؤلاء الإخوة يعرفون أن القائم على أمور مصر في ذلك الوقت هو يوسف فلما وصلوا إلى مصر عرفهم يوسف ولم يعرفوه، وأعطاهم يوسف كمية من الحبوب والمحاصـيل، ودفعوا له الثمن، إلا أنه وضع هذا الثمن الذي دفعوه في إحدى حقائب الحبوب دون أن يـدروا، ثم قال لهم إذا عدتم مرة أخرى إلى مصر طلبا للحبوب والغذاء والمحاصيل فإنني لن أعطـيكم منها شيئا حتى تحضروا أخيكم الصغير معكم فقالو له سوف نطلب ذلك من أبينا عندما نعود.

عاد أخوة يوسف ومعهم المحاصيل والحبوب إلى أبيهم بفلسطين وأخبروه بـأن عزيـز مصر أخبرهم بأنه لن يعطيهم غذاء أو حبوبا إلا إذا أحضروا معهم أخاهم الصغير، وطلبوا من أبيهم أن يرسله معهم حتى يحصلوا على الحبوب وإلا أهلكتهم المجاعة؛ لأنه لا توجد حبوب أو محاصيل إلا في مصر في ذلك الوقت وتعهدوا لأبيهم بالمحافظة على أخيهم، إلا أن الأب ذكرهم بأنهم لم يحافظا على أخيهم يوسف من قبل. بدأ أخـوة يوسـف يفتحـون حقائـب الحبـوب، لاستخراجها لإطعام أهلهم، ففوجئوا بوجود الثمن الذي دفعوه في إحدى هذه الحقائـب ففرحـوا بذلك وأخبروا والدهم بما حدث، وكرروا طلبهم باصطحاب أخيهم على مصر للحـصول علـى المزيد من الغذاء والحبوب والمحاصيل؛ لأن الجدب شديد وهم في أشد الحاجة إلى الغـذاء وإلا هلكوا فاضطر الأب أن يوافق على ذلك وأخذ عليهم عهدا وميثاقـا بالمحافظـة علـى أخـيهم الصغير، ثم طلب منهم أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة ولا يدخلوا جميعا من باب واحد حتى لا يتعرضوا للحسد لكثرة عددهم، ونفذ الإخوة كلام الأب ودخلوا مصر من أبواب متفرقة، فلمـا وصلوا إلى يوسف، فرح يوسف بأخيه الصغير بنيامين وأخبره أنه أخوه يوسف وأظهر له الحب والحنان والعطف، ثم أمر يوسف فتم تجهيز الحبوب والغذاء لإخوته، وجعل كالعادة، لكل واحـد منهم حقيبة خاصة تحملها إحدى الدواب وبها الحبوب، ووضع كأس الملك في الحقيبة الخاصـة بأخيه بنيامين دون أن يدري أحد بذلك، وكان يوسف يدبر بذلك خطة لاستبقاء أخيـه الـصغير بنيامين معه، وعندما أراد إخوة يوسف الانصراف بحمولتهم، جاء أحد الحراس وأعلن أن كأس الملك قد سرقت، وأن من يعثر عليها له جائزة وعندئذ قال إخوة يوسف إنهم لم يـسرقوا شـيئا، وإنهم جاءوا إلى مصر لشراء الحبوب ولم يأتوا للفساد أو السرقة وأقسموا بالله على ذلك.

فقال الحراس ما جزاء من سرق هذه الكأس؟

قال الإخوة جزاء السارق أن يصبح عبدا لعزيز مصر.

عندئذ قام يوسف بتفتيش الحقائب وبدأ بتفتيش كل الحقائب قبل حقيبـة أخيـه الـصغير بنيامين، وعندما انتهى من ذلك فتش حقيبة بنيامين فوجد فيها كأس الملك، فأخرجهـا أمـامهم، وكان معنى ذلك أن بنيامين سيبقى في مصر ولن يعود معهم، فقال الإخوة إن بنيامين الذي سرق

له أخ آخر قد سرق مثله من قبل، وكانوا يقصدون بذلك يوسف، ولم يكونوا يعرفون أن هذا العزيز الذي أمامهم هو يوسف نفسه، وكتم يوسف غيظه عندما سمع ذلك حتى لا تنكشف حيلته، وأخذ إخوة يوسف يلحون عليه ويرجونه أن يعفو عن أخيهم وأن يأخذ واحدا آخر منهم بدلا منه؛ لأن أباهم شيخ عجوز سوف يحزن حزنا شديدا على هذا الابن الصغير إلا أن يوسف رفض ذلك وأعلن لهم أنه لن يأخذ إلا الشخص الذي وجدت كأس الملك في حقيبته. واضطر إخوة يوسف في النهاية أن يرحلوا عن مصر ويتركوا أخاهم الصغير بنيامين، وشعر كبير الإخوة بالحرج الشديد؛ لأن أباهم قد أخذ منهم ميثاقا وعهدا بالمحافظة على ذلك الأخ الصغير، وقرر كبير الإخوة ألا يرجع إلى أبيه وأن يظل خارج البلدة حتى يأذن له أبوه بالدخول ثم طلب من باقي الإخوة بأن يذهبوا إلى أبيهم وأن يحكوا له ما حدث، فلما وصل الإخوة إلى أبيهم وحكوا له ما حدث لم يصدقهم، فطلبوا منه أن يسأل القوافل التي كانت معهم أو يسأل أهل القرية التي حدث فيها كل ذلك، وأن الأمر معروف ومشهور وأنهم لم يكذبوا عليه، إلا أن الأب ظن أنهم دبروا مؤامرة أخرى لأخيهم بنيامين كما فعلوا مع يوسف من قبل وأخذ يدعو الله أن يعيد إليه ابنيه المفقودين، وعزل الأب نفسه عن باقي أولاده واشتد عليه الحزن وأكثر من البكاء حتى أصيب بالعمى من شدة البكاء على يوسف، وتعجب أهل يعقوب من هذا الرجل الذي لا يزال يذكر ابنه يوسف رغم مرور كل هذه السنين، وقالوا له ستظل تكثر من البكاء وذكر يوسف حتى تهلك صحتك، فأخبرهم أنه يشكو إلى الله ويدعوه؛ لأنه لا ييأس أبدا من رحمة الله تعالى.

ثم طلب منهم يعقوب أن يذهبوا ليبحثوا عن يوسف وأخيه أو يعرفوا أخبارا عنهما، وألا يصيبهم اليأس من ذلك رغم مرور كل هذه السنين.

وكانت أحوال يعقوب وأولاده قد أصبحت سيئة، ولم يعد معهم إلا القليل من البضاعة والأموال، فحملوها وذهبوا إلى مصر، فلما وصلوا إليها ذهبوا إلى عزيز مصر وطلبوا منه أن يعطيهم للمرة الثالثة حبوبا وغذاء - رغم أنه ليس معهم ثمن الشراء المطلوب، وقالوا له إن أمورهم سيئة للغاية وهم يطلبون منه أن يعطيهم الكمية المعتادة من الحبوب والغذاء رغم أن أموالهم قليلة جدا، وذكروه أن الله يكافئ من يتصدق على الناس ويحسن إليهم.

عندئذ قرر يوسف أن يكشف لهم عن نفسه، فكلمهم بلغتهم وقال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟ فأدركوا على الفور أنه هو يوسف، وقالوا لا بد أنك أنت يوسف، فقال يوسف نعم أنا يوسف وهذا أخي.

وقد أعطاني الله مكانة عالية نتيجة الصبر والتقوى؛ لأن الله لا يضيع أجر المحسنين.

عندئذ اعترف إخوة يوسف بخطئهم، وندموا على ذلك فعفا عنهم يوسف وسامحهم وأحسن إليهم، ثم طلب منهم أن يأخذوا قميصه ويذهبوا إلى أبيهم ثم يلقوا عليه هذا القميص فيعود إليه بصره ثم يأتوا بجميع أهلهم إلى مصر.

عاد إخوة يوسف إلى فلسطين ومعهم القميص الذي أعطاه لهم يوسف، وفي الطريق هبت ريح فحملت رائحة قميص يوسف إلى أبيهم يعقوب، فقال يعقوب لمن حوله: إنني أشم رائحة يوسف، إلا أن من كانوا حول يعقوب في ذلك الوقت سخروا من ذلك وظنوا أن الرجل يقول كلاما لا معنى له من شدة الحزن وكبر السن، وأظهروا تعجبهم من يعقوب الذي لا يزال يذكر يوسف بعد كل هذا الزمان.

وبعد مدة وصلت القافلة، وجاء إخوة يوسف وبشروا يعقوب بظهور يوسف في مصر، وألقى أحدهم القميص على وجه يعقوب فارتد إليه بصره، عندئذ عرف الجميع أن الرجل كان على حق عندما كان يذكر يوسف، وعندما قال لهم إنه يشم رائحته، وقال يعقوب إن الله هو الذي أخبره بذلك، وطلب إخوة يوسف من أبيهم يعقوب أن يدعو الله ليغفر لهم وندموا على أفعالهم، فوعدهم يعقوب بذلك.

تحرك جميع الأهل من فلسطين إلى مصر، ووصل أهل يوسف جميعا إلى مصر فدخلوها بإذن الله آمنين، وقرب يوسف أبويه إليهم وأجلسهم في مكان عال على العرش، وكان مشهدا فريدا حيث اجتمع الجميع بعد طول غياب، وعندئذ سجد الأبوان، والإخوة الأحد عشر جميعا ليوسف، سجود تكريم وليس سجود عبادة، وعندئذ قال يوسف لأبيه مذكّرا له بالرؤية التي رآها، وهو صغير وحكاها لأبيه يومها، إن هذا هو تصديق لتلك الرؤيا وتفسير لها.

كان الجميع في فرح، وكان يوسف أيضا شديد السعادة إلا أنه لم ينس أن يشكر الله على تلك النعمة، وأن يسبحه ويعبده ويعترف بفضله عليه ثم دعا يوسف ربه أن يحفظ له دينه دين الإسلام حتى يموت على ذلك الدين وأن يلحقه ربه بالصالحين، قال يوسف: ﴿**رب قَدْ آتَيْتَنِي مِن الْملْكِ وعلمتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأحادِيثِ فَاطِرِ السماواتِ والأرضِ أَنتَ وليي فِي الدنْيا والآخِرةِ تَوفنِي مسلِما وأَلْحِقْنِي بِالصالِحِين**﴾.

فهرس

(٩)

شعيب عليه السلام

شعيب عليه السلام هو أحد أنبياء الله، كلفه الله تعالى بالرسالة إلى قوم مدين بعد فترة قصيرة من وفاة لوط عليه السلام، وكان شعيب عليه السلام متميزا بالقدرة على الخطابة، وكان أيضا يتميز بالبلاغة أي القدرة على قول الكلام البليغ المؤثر، ومدين هي البلدة التي ظهرت فيها دعوة شعيب، وهي بلدة تقع على طريق التجارة بين الشام والجزيرة العربية، ومدين هي بلدة في أرض معان من أطراف الشام (تقع في الأردن الآن)، وكان أهل مدين في ذلك الوقت يتمتعون بالكثير من النعم التي أنعم الله عليهم بها، حيث إنهم كانوا قليلي العدد فأصبح عددهم كبيرا، وكانت بلادهم في ذلك الوقت بلادا خصبة تكثر فيها الأشجار الضخمة التي تعرف " بالأيكة " كما كانوا يعملون بالتجارة حيث ساعدهم موقع بلدهم على ذلك.

كان من المفروض أن يشكروا الله تعالى على كل هذه النعم إلا أنهم كفروا بالله الواحد، وعبدوا الأشجار ولذلك يسمون بأصحاب "الأيكة" وبدلا من أن يمارسوا التجارة بطريقة حسنة عادلة، كانوا يغشون في الميزان والكيل، كما كانوا يفرضون الضرائب والغرامات على قوافل التجارة التي تمر ببلادهم، وكانوا أيضا يقطعون الطريق على القوافل التجارية، فيقتلون التجار وينهبون ويسرقون السلع التي يحملونها.

أرسل الله إلى أهل مدين شعيبا عليه السلام، وكان شعيب رجلا صالحا يكثر من الصلاة لله الواحد، وكان تاجرا لا يغش في تجارته ويكتفي بالربح الحلال.

طلب منهم شعيب عليه السلام أن يعبدوا الله وحده ويتركوا عبادة الأصنام، كما طلب منهم أيضا أن يتوقفوا عن الغش في الميزان والكيل، وأن يتوقفوا عن قطع الطريق وقتل التجار ونهب البضائع أو فرض الغرامات والضرائب على القوافل التجارية، وذكرهم شعيب عليه السلام بنعمة الله عليهم حيث كانوا قليلي العدد فأصبحوا كثيرين، ونبههم إلى أن عاقبة الكفر والفساد عاقبة سيئة وعليهم أن يذكروا ما حدث لقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط خاصة وأن ما حدث لقوم لوط كان منذ مدة قليلة وهم يعرفون ذلك.

ونبههم شعيب عليه السلام أن التجارة الحلال تدر ربحا كثيرا وأن الله يبارك في هذا الربح الحلال، وعليهم أن ينظروا إليه فإنه يربح في تجارته بالطريق الحلال والله يبارك له في هذا الربح فيصير كثيرا، عليهم أن يفعلوا مثله أن يربحوا في التجارة بدون غش أو نهب، وإن الربح الحرام حتى لو كان كثيرا فإن الله لا يبارك فيه ويؤدي في النهاية إلى الخسارة وقلة الأموال والخيرات، وأخبرهم شعيب عليه السلام أيضا أنه ينصح لهم ولا يريد أجرا منهم؛ لأنه يريد الأجر من الله وحده.

آمن بدعوة شعيب عليه السلام عدد قليل من أهل مدين أما أكثرهم فإنهم رفضوا الاستجابة إلى الدعوة، وقالوا كيف نترك الآلهة التي كان يعبدها آباؤنا وتعجبوا من شعيب عليه السلام؛ لأنه يربط بين العقيدة والمعاملات التجارية والاقتصادية ولم يفهموا كيف أن صلاة شعيب تؤدي إلى التدخل في تقاليدهم وعاداتهم التي ورثوها عن الأجداد والتدخل في إدارة الأموال ولا يتركهم يفعلون ما يشاءون في أموالهم وقالوا: ﴿**يا شُعيب أَصلاتُك تَأْمرك أَن نتْرك ما يعبد آباؤُنا أَو أَن نفْعلَ فِي أَموالنا ما نَشاء**﴾.

وبدأ أهل مدين يهددون الذين آمنوا بدعوة شعيب وبدءوا أيضا يهددون بقتل شعيب عليه السلام، وأعلنوا أنه لولا خوفهم من انتقام أقارب شعيب عليه السلام إذا قتلوه لكانوا قد قتلوه بإلقاء الحجارة عليه حتى الموت "الرجم"، وتعجب شعيب عليه السلام من هؤلاء القوم الذين يخافون من أقاربه ولا يخافون من الله تعالى.

لم يكتف أهل مدين بعدم الاستجابة للدعوة وتهديد شعيب بالقتل، بل أعلنوا أن على شعيب والذين آمنوا معه أن يعودوا إلى الكفر جميعا وإلا طردوهم من القرية، ورفض شعيب والذين آمنوا العودة إلى الكفر، ولم يكن من الممكن العودة إلى الكفر بعد أن نجاهم الله وهداهم إلى الإيمان، وقال المؤمنون لن نعود إلى الكفر مهما حدث وإننا نتوكل على الله تعالى.

استمر الصراع بين الفريقين، فريق الكفار وهم كثير وفريق المؤمنين، وهم قليل، وبدأ الكفار يطلقون الشائعات على شعيب عليه السلام فاتهموه بالسحر واتهموه بالكذب حتى ينفض المؤمنون من حوله وأعلنوا أنه من يتبع شعيبا من الناس ويؤمن به فإنه سوف يكون من الخاسرين.

في كل يوم كان شعيب يدعو إلى الإيمان بالله وحده وترك الغش في الميزان والكيل وترك الفساد والظلم ومع ذلك استمر الكفار يعاندون ويرفضون الاستجابة ويهددون شعيبا والذين آمنوا معه، حتى يأس شعيب من هدايتهم وأخبرهم أنه سيظل على الإيمان بالله هو، ومن معه، وأنه لا فائدة من دعوتهم وسوف يتركهم ولن يدعوهم بعد الآن وأن الله تعالى سيكشف للجميع من على الحق، ومن على الباطل.

وسخر الكافرون من شعيب، وتحدوه وطلبوا منه أن يسقط عليهم حجارة من السماء إن كان صادقا.

عندئذ أمر الله تعالى شعيبا والذين آمنوا معه أن يخرجوا من هذه القرية؛ لأنه سوف ينزل بها عقابا شديدا.

وخرج شعيب والذين آمنوا معه إلى خارج القرية، وبقي الكافرون بها، وفي البداية سلط الله الحرارة الشديدة عليهم ولم تعد الأمطار تسقط، جف الزرع وهلكت المواشي، وفي أحد الأيام ظهرت سحابة في السماء، ظن الكافرون أنها مقدمة للمطر والخير، وأسرعوا يستظلون بها من الحر، وفجأة حدث زلزال شديد وتهدمت القرية كلها، ومع الزلزال جاءت النيران الحارقة، وفي

لحظات قصيرة هلك الكافرون جميعا، رأى شعيب ما حدث لأهل مدين، فلم يحزن عليهم؛ لأنه نصحهم من قبل فلم يستجيبوا للنصيحة.

(١٠)

موسى عليه السلام

موسى عليه السلام هو أحد أنبياء الله، كان موسى عليه السلام رسولا نبيا مخلصا، وقد كلمه الله تعالى مباشرة ولذلك يسمى كليم الله، أنزل الله عليه التوراة، وهي إحدى الكتب السماوية، ولكن اليهود حرقوا التوراة بعد موسى فاستحقوا غضب الله.

كان يعقوب عليه السلام قد جاء إلى مصر واستقر بها هو وأبناؤه عندما كان يوسف عليه السلام قد أصبح عزيز مصر كما معروف في قصة نبي الله يوسف عليه السلام، ويعقوب عليه السلام يسمى أيضا إسرائيل، ولذلك يطلق على نسله بنو إسرائيل، وقد تكاثر أبناء يعقوب وأحفاده في مصر حتى أصبح عددهم كبيرا، وقد عاش هؤلاء أي بنو إسرائيل في مصر أثناء حياة يوسف وبعد مماته في سعادة وهناء ولم يعرض لهم حكام مصر بالأذى أو الاضطهاد، إلا أنه بعد فترة من الزمن بدأ حكام مصر "الفراعنة" يضطهدون بني إسرائيل ويؤذونهم ويعذبونهم.

وفي تلك الفترة من الزمن التي ولد فيها موسى عليه السلام كان يحكم مصر أحد هؤلاء الفراعنة، وكان رجلا كافرا ظالما، كان هذا الفرعون يخدع الشعب المصري ويقول لهم إنه هو ربهم الأعلى، وقد تعرض بنو إسرائيل في ذلك الوقت للاضطهاد والتعذيب على يد ذلك الفرعون حيث كان يذبح أبناء بني إسرائيل ويعتدي على نسائهم ويعامل جميع بني إسرائيل كعبيد، وكان الفرعون يقتل كل ذكر يولد في بني إسرائيل في ذلك الوقت.

كان بنو إسرائيل في ذلك الوقت على دين أبيهم يعقوب، وهو دين الإسلام الذي جاء به جميع الأنبياء والمرسلين كانوا يعبدون الله وحده كما أوصاهم بذلك آباؤهم إلا أن عددا كبيرا منهم كان قد انحرف عن ذلك الدين الحق بينما بقي عدد منهم متمسكا بالعقيدة الصحيحة، وكانت أسرة موسى عليه السلام من هؤلاء الذين تمسكوا بالعقيدة الصحيحة من بني إسرائيل.

كانت أم موسى عليه السلام سيدة صالحة من بني إسرائيل فلما ولدت موسى عليه السلام، خافت عليه من الفرعون وجنوده؛ لأن الفرعون كان يقتل كل غلام ذكر يولد في بني إسرائيل، في ذلك الوقت.

أحست أم موسى بالخوف الشديد على هذا الوليد الصغير الذي يمكن لجنود فرعون أن يقتلوه إذا عرفوا بمولده، كان للفرعون جنود كثيرون وأتباع وجواسيس يراقبون بني إسرائيل فإذا علموا بميلاد طفل ذكر في بني إسرائيل أسرعوا بإخبار الفرعون بذلك، فيأتي جنود الفرعون ويذبحون الطفل.

كان الله رحيما بأم موسى، فأوحى إليها أن ترضع هذا الطفل، فإذا أحست بالخوف عليه من جنود الفرعون فعليها أن تلقي الطفل في النهر، وبشرها الله بأنه سوف ينقذ هذا الطفل من الفرعون وأنه سوف يرده إليها، وأن هذا الطفل سيكون نبيا مرسلا.

كانت أم موسى سيدة صالحة، تؤمن بالله تعالى فتثق في قدرته، ولذلك اطمأنت وذهب خوفها وسلمت أمرها إلى الله.

وضعت أم موسى طفلها في صندوق، ثم ذهبت إلى النهر وألقت الطفل، كانت أم موسى واثقة أن الله تعالى الذي خلق النهر والأمواج وكل شيء، سيأمر الأمواج أن تكون رحيمة بالطفل وسيأمر النهر ألا يغرق الطفل في مياهه وأنه سوف يعيد الطفل إليها كما وعدها وبعد أن ألقت الأم بالطفل في النهر طلبت من أخته أن تراقبه لترى ماذا يحدث له.

حملت مياه النهر هذا الطفل وسارت به، إلى أن وصلت به إلى قصر الفرعون، حيث إن الفرعون كان يسكن في قصر عظيم على شاطئ النهر، وعندئذ قذف النهر بالطفل إلى حديقة القصر، ورأته زوجة الفرعون، وكانت سيدة صالحة مؤمنة رغم أن زوجها كان كافرا ظالما، شعرت زوجة الفرعون بحب شديد تجاه هذا الطفل، حملته وضمته إلى صدرها بحنان، وفرحت به فرحا شديدا، وذهبت به إلى الفرعون وقالت له إنها تريد أن تتخذ هذا الطفل ولدا لها، وطلبت من الفرعون ألا يقتل هذا الطفل وألحت عليه إلحاحا شديدا حتى استجاب لها.

كان قصر الفرعون ممتلئا بالجنود والحراس والخادمات وأمرت زوجة الفرعون بإحضار عدد من السيدات لإرضاع هذا الطفل، وجاء الحراس بهؤلاء السيدات لإرضاع الطفل.

وضعت إحدى السيدات الطفل على صدرها وأعطته ثديها ليرضع، ولكن الطفل رفض أن يرضع من ثديها.

جاءت سيدة أخرى لترضع هذا الطفل، ولكن الطفل لم يرضع منها أيضا، حيث رفض أن يضع فمه على ثدييها وجاءت ثالثة، ورابعة دون جدوى، جاءوا بعدد كبير من السيدات لإرضاع الطفل، ولكن الطفل كان ممتنعا عن الرضاعة تماما.

وحزنت زوجة الفرعون على هذا الطفل الذي يرفض الرضاعة وقلقت عليه.

كانت أخت موسى تراقب كل هذا، فلما علمت أنه يرفض الرضاعة، تقدمت إلى حراس القصر وقالت لهم إنها تعرف سيدة سوف يقبل هذا الطفل الرضاعة منها.

وأخذها الحراس إلى زوجة الفرعون، وكانت زوجة الفرعون في ذلك الوقت تشعر بالقلق على هذا الطفل الذي لا يريد أن يرضع، قالت لها أخت موسى إنها تستطيع أن تحل المشكلة، قالت لها زوجة الفرعون أسرعي بإحضار هذه السيدة، وإذا كان كلامك صحيحا فإن لك جائزة كبيرة.

أسرعت أخت موسى إلى أمها وقصت عليها ما حدث كانت الأم في ذلك الوقت شديدة القلق على ابنها وأحست بالراحة عندما أخبرتها أخت موسى بما حدث وأدركت أن الله سوف يرد إليها ابنها كما وعدها، فحمدت الله على ذلك وشكرته.

وانطلقت أم موسى وأخته إلى قصر الفرعون ودخلتا على زوجة الفرعون, أخذت أم موسى الطفل، إلى صدرها وأعطته ثديها في حنان، فاطمأن الطفل إليها وأخذ يرضع من ثديها بهدوء.

وفرحت زوجة الفرعون بذلك فرحا شديدا، فقد اطمأنت الآن إلى وجود من يرضع هذا الطفل الذي امتنع من قبل عن الرضاعة.

كان الجميع في سعادة، أم موسى، وأخته، وزوجة الفرعون، والطفل أيضا حيث إنه جاع طويلا وها هو الآن يشبع من لبن أمه.

وطلبت زوجة الفرعون من أم موسى أن تأخذ معها الطفل لترضعه طوال فترة الرضاعة المعروفة ثم ترده إلى زوجة الفرعون بعد ذلك.

وعادت الأم بطفلها، في سعادة وحبور، واجتمع شمل الأسرة، وعرفت أم موسى أن وعد الله حق.

بعد فترة الرضاعة، عاد موسى إلى قصر الفرعون، وتربى داخل هذا القصر واهتمت به زوجة الفرعون اهتماما شديدا، ومرت السنوات وكبر موسى وأصبح شابا قويا متميزا بالحكمة والعلم، وفي أحد الأيام كان موسى يمشي في المدينة، فوجد رجلين يتشاجران، أحدهما من بني إسرائيل وهم قوم موسى، والآخر من الأعداء، واستغاث الرجل الذي هو من قوم موسى بموسى عليه السلام واندفع موسى عليه السلام ليدفع الرجل عن صاحبه، إلا أن الدفعة كانت قوية فمات ذلك الرجل، وأحس موسى أنه أخطأ وأدرك أن هذا من عمل الشيطان، فاستغفر الله تعالى، فغفر الله له، وقال موسى شاكرا ربه إنه لن يكون مناصرا لأحد المجرمين بعد الآن.

وانتشر الخبر في المدينة، وأحس موسى بالقلق، فربما يعرف الناس أنه هو الذي دفع الرجل المصري فتسبب في موته.

وفي اليوم التالي كان نفس الرجل الإسرائيلي يتشاجر مع مصري آخر، فلما رأى موسى استغاث به أيضا، فقال له موسى إنك رجل مشاغب تريد أن تقودني إلى الشر، واندفع موسى يريد دفع المصري أيضا ونصرة الإسرائيلي عليه، ولكن الرجل الإسرائيلي ظن أن موسى يريد البطش به هو بعد أن سمع منه ما قاله عندما استغاث به، فقال الإسرائيلي لموسى هل تريد أن تقتلني يا موسى كما قتلت رجلا بالأمس، إنك يا موسى تريد أن تكون جبارا في الأرض.

وفي تلك اللحظة وصل رجل إليهم، كان قد جاء من أطراف المدينة يجري بسرعة، وقال لموسى إنه عرف أن كبار القادة والضباط يريدون الشر بموسى، وإنهم يصنعون مؤامرة للتخلص منه، ونصح الرجل موسى عليه السلام بأن يخرج من المدينة على الفور.

انطلق موسى مسرعا ليخرج من مصر كلها حتى لا يناله هؤلاء الذين يتآمرون عليـه، اتجه موسى إلى الصحراء وأخذ يسير فيها ويدعو الله أن ينجيه من القوم الظالمين، وبعد مدة من الزمن وصل موسى إلى مكان فيه بئر كبير يسقي منها الناس مواشيهم وأغنامهم جلس موسـى ليستريح في هذا المكان بعد طول التعب والعناء رأى موسى عددا كبيرا مـن الرجـال يـسقون مواشيهم وأغنامهم من البئر وقد تزاحموا عليه، ورأى أيضا فتاتين تقفان بعيدا ومعهما المواشـي والأغنام قال موسى لهما: لماذا لا تسقيان المواشي مثل الآخرين؟

قالت الفتاتان نحن لا نستطيع المزاحمة على الماء مثل الرجال ولذلك ننتظر حتى ينتهي الرجال من سقي مواشيهم فنذهب ونسقي مواشينا، وإن أبانا شيخ كبير لا يقـدر علـى رعـي الأغنام، ونحن نرعاها بدلا منه قام موسى على الفور وقاد المواشي وسـقاها ثـم ردهـا إلـى الفتاتين، ولم يطلب على ذلك أجرا، ثم ذهب إلى ظل شجرة ليستريح وأخذ يدعو الله أن يوفقـه إلى الخير ويسهل له الأمور.

عادت الفتاتان إلى أبيهما وحكتا له ما حدث، فأمر الأب إحدى الفتاتين أن تذهب إلى ذلك الرجل وتطلب منه الحضور وجاءت هذه الفتاة إلى موسى وقالت له في حياء إن أبي يدعوك إلى الحضور لكي يعطيك أجرك على ما فعلت لنا، وذهب موسى عليه السلام معها، وحكـى لـلأب حكايته فقال له الأب لا تخف؛ لأنك الآن بعيد عن يد جنود الفرعون، وإنك فـي مدينـة غيـر خاضعة للسلطات المصرية، وكانت هذه المدينة تسمى "مدين" وتدخلت إحدى الفتاتين في الكـلام قائلة لأبيها "لماذا لا تستأجره ليعمل عندنا يا أبي، خاصة وأنه قوي وأمين والقوة والأمانـة مـن شروط العمل الناجح".

عندئذ قال الأب لموسى إنه يعرض عليه أن يزوجه إحدى الفتاتين على أن يعمل لديـه ثماني سنوات أو عشر سنوات، وقال له أيضا إنه لن يشق عليه في العمل، وإنه سـوف يجـده رجلا صالحا إن شاء الله.

ووافق موسى على هذا الأمر، وقال سوف أقضي معكم ثماني سنوات أو عشر سـنوات إن شاء الله.

واتفق موسى مع الرجل على ذلك، وأشهد الله على الاتفـاق وتـزوج موسـى بإحـدى الفتاتين، وظل عند الرجل في هذا المكان حتى انقضت السنوات المتفق عليها.

بعد انقضاء السنوات المتفق عليها، أراد موسى أن يعود إلـى مـصر، فـأمر زوجتـه بالاستعداد للسفر، وبدأ موسى وأهله رحلة العودة إلى مصر.

ظل موسى يسير بأهله في اتجاه مصر، وفي إحدى الليالي، كان الجو شـديد الظـلام، وكان البرد شديدًا جدا، وفجأة رأى موسى نارا مشتعلة، فقال لأهله انتظروني هنا حتـى أذهـب إلى تلك النار وأحضر شيئا منها لنستدفئ به من البرد، أو أجد هناك عند هذه النار بعض الناس فأسألهم عن الطريق إلى مصر، فلما وصل موسى إلى المكان الذي يسمى وادي طوى، ناداه الله

تعالى إني أنا الله رب العالمين، وطلب الله تعالى من موسى أن يخلع نعليه؛ لأنه بالوادي المقدس طوى، وأخبره أنه اختاره للرسالة والنبوة، وأمره أن يعبده ويقيم الصلاة، وأن هناك يوم تقوم فيه القيامة ويحاسب الناس على أعمالهم فمن كان مسلما صالحا دخل الجنة، ومن كان كافرا فاسـدا دخل النار، وأرشد الله موسى ألا يستمع لكلام الكافرين الذين لا يؤمنـون بـالآخرة ويتبعـون الأهواء فيصلون في النهاية إلى الدمار والخسارة ويكون مصيرهم النار.

ثم سأل الله تعالى موسى عن الشيء الذي يحمله في يده اليمنى فأجاب موسى أنها عصاه يستند إليها، ويهش بها على غنمه وأن لها فوائد أخرى، فأمره الله تعالى أن يلقي تلك العصا على الأرض، فلما ألقاها موسى على الأرض تحولت العصا إلى حية كبيـرة تمـشي علـى الأرض وتتحرك، وعندئذ خاف موسى منها وأدار ظهره لها وأخذ يجري ولم يلتفت إليها من الخـوف، فناداه الله تعالى وأخبره ألا يخاف وأن يطمئن وأن يعود إلى المكان الذي تتحرك فيه الحية، فلما رجع موسى إلى هذا المكان أمره الله تعالى أن يأخذ الحية من على الأرض، وألا يخـاف مـن ذلك؛ لأنها سوف تتحول إلى عصا مرة أخرى عندما يأخذها في يده، ومد موسى يده على الحية وأمسكها فتحولت إلى عصا في يده مرة أخرى ثم أمر الله تعالى موسى أن يدخل يده في جيبه ثم يخرجها فلما فعل موسى ذلك وجدها تتلألأ مثل القمر ثم أمره الله تعالى أن يضع يده على قلبه، فلما فعل موسى ذلك اطمأن قلبه وذهب عنه الخوف تماما.

وهكذا أكرم الله موسى بمعجزتين في ذلك الوقت، معجزة العصا التي تتحول إلى حية ثم تتحول إلى عصا مرة أخرى، ومعجزة اليد التي إذا وضعها في جيبه ثم أخرجها تـلألأت مثـل القمر.

وبعد أن اطمأن موسى ورأى هاتين المعجزتين أمره الله تعالى أن يذهب إلـى فرعـون ذلك المجرم الجبار الطاغية الظالم وأن يدعوه إلى الإيمان بالله وحده ويطلب منه أن يسمح لبني إسرائيل بالخروج من مصر مع موسى، وعندئذ أخذ موسى يدعو الله تعالى أن يشرح له صدره، وأن ييسر له الأمور ويجعلها سهلة وأن يجعل قوله مفهوما لدى الناس، وأن يختار معـه أخـاه هارون ليكون نبيا ورسولا مثل موسى لكي يساعد موسى في رسالته، واستجاب الله تعالى لدعاء موسى، وكلف الله تعالى كلا من موسى وهارون بالذهاب إلى فرعون ومخاطبته بطريقـة لينـة سهلة ودعوته إلى الإيمان بالله والسماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر، ووعد الله موسى بأن يحفظه من كيد فرعون وجنوده.

وصل موسى إلى مصر، واصطحب أخاه هارون وذهبا إلى فرعون، وقـالا لـه إننـا رسولان من الله رب العالمين، وطلبا منه أن يسمح بخروج بني إسرائيل معهمـا إلـى خـارج مصر.

قال الفرعون لموسى: ألست أنت موسى الذي ربيناك في قصرنا صغيرا حتى كبـرت؟ ألست أنت الذي قتلت الرجل المصري؟.

قال موسى أنا فعلت ذلك ثم فررت إلى خارج مصر حيث كلفني الله بالرسالة وغفر لي ذنوبي وأعطاني العلم والحكمة الصحيحة، ثم قال موسى لفرعون إنك تمن علي أن تربيت في قصركم وتهددني بالعقوبة على قتل المصري، ولكن أنت أيضا استعبدت بني إسرائيل بغير حق، وبنو إسرائيل هم قومي الذين ظلمتهم أنت وجنودك.

واستمر الحوار بين الفرعون وكل من موسى وهارون، وكرر موسى الطلب إلى فرعون أن يكف عن تعذيب بني إسرائيل، وأن يسمح لهم بالخروج من مصر، وأفهم موسى فرعون أن هذا الطلب هو أمر من الله وليس طلب بني إسرائيل أنفسهم، وأن الله تعالى سوف يعذب من يكفر ويكذب الله رب العالمين قال الفرعون من هو رب العالمين.

قال موسى: هو الله الذي خلق كل الأشياء وجعلها منسجمة مع بعضها البعض، ولولا هذا لكانت الحياة. قد اضطربت وفسدت وانهارت.

قال الفرعون: إذن ما هي حكاية الأمم والشعوب السابقة؟

قال موسى: إن هذا أمر يعلمه الله تعالى، وهو إله قادر يعلم كل ما يحدث في هذا الكون لحظة بلحظة ولا يترك شيئا كبيرا أو صغيرا إلا ويعلمه وسوف يكافئ الصالحين ويعاقب المجرمين.

واستمر الحوار أيضا بين موسى وهارون من ناحية وفرعون وقادته وجنوده من ناحية أخرى، كان فرعون يسأل دائما ليس بهدف الهداية ومعرفة الحق، ولكن بهدف تعجيز موسى عن الرد عليه وإظهاره بمظهر الكاذب.

قال الفرعون مرة أخرى: من رب العالمين؟

قال موسى: رب السماوات والأرض وما بينهما.

التفت فرعون إلى من حوله وسخر من موسى وقال لهم: هل تسمعون ما يقوله موسى.

وتدخل موسى قائلا: إن الله هو ربكم ورب آبائكم وأجدادكم.

قال الفرعون: إن هذا الرجل ليس رسولا بل مجنونا.

قال موسى: إن الله هو رب المشرق والمغرب.

كان موسى عليه السلام في كل مرة يقدم الدليل على صدق كلامه.

كان يقول لفرعون، ومن حوله: إن الله تعالى هو الذي مهد الأرض للناس، وهو الذي ينزل المطر من السماء فيخرج به أنواعا شتى من النبات، لتكون غذاء للإنسان وللحيوان وإن الله خلق الإنسان من تراب الأرض، ثم يميته ويعيده إلى الأرض، ثم يبعثه يوم القيامة مرة أخرى.

كان كلام موسى منطقيا، وخاف الفرعون أن يؤمن الناس بموسى، وكان الفرعون يخدع الناس ويقول لهم إنه هو الله ربهم، وكان يقتل أو يعذب كل من لا يؤمن بألوهيته وبعد أن فشل الفرعون في إثبات كذب موسى، وبعد أن ظهر من خلال الحوار العقلي أن موسى على الحق،

وفرعون على الباطل بدأ الفرعون يهدد موسى باستخدام القوة ضده، وقال له يا موسى لو اتخذت إله آخر غيري أنا الفرعون الإله سوف أسجنك.

وعندئذ أدرك موسى أيضا أنه لا جدوى من الحوار ولا بد أن يقدم معجزة أمام فرعون لعله يخاف أو يتعظ ولتكون دليلا أمام فرعون وأمام الناس على صدق نبوة موسى.

قال موسى للفرعون سوف آتيك بمعجزة كبيرة تكون دليلا على صدقي.

لم يصدق الفرعون أن موسى يقدر على ذلك فقال له عليك أن تفعل هذا إن كنت صادقا، وعندئذ ألقى موسى عصاه على الأرض، فتحولت إلى ثعبان كبير، ثم وضـع يـده فـي جيبـه وأخرجها فتلألأت بالنور مثل القمر.

ورأى كل من في القصر هاتين المعجزتين، ثم انصرف موسى وترك فرعون حـائرا لا يعرف ماذا يفعل.

جمع فرعون قادته ومستشاريه وكبار ضباطه ووزرائه للبحث في أمر موسـى، كـان فرعون مستكبرا كافرا لا يريد أن يعترف بالحق، طلب من رئيس الوزراء "هامان" أن يبني لـه برجا ضخما يصعد به إلى السماء ليرى إله موسى، ثم التفت فرعون إلى الحاضرين وقال لهـم: ولكنني أعلم أن موسى كاذبا، كان الفرعون يخاف أن يتسلل الإيمان إلى قلوب أعوانه، ثم أكـد لهم أنه ليس هناك من إله إلا الفرعون.

ووافق الحاضرون على كلام الفرعون؛ لأنهم كانوا يستفيدون من هذا الوضع من ناحية ويخافون من بطش الفرعون من ناحية أخرى إذا واجهوه بالصدق والحقيقة.

وأمر الفرعون أعوانه بأن يقولوا للناس إن موسى كاذب وإنه مجرد ساحر يريد أن يبدل دين الناس وأن يفسد في الأرض.

ثم اتفق الحاضرون على أن يجمعوا العلماء والسحرة في كل أنحاء مصر لكي يتفوقـوا بسحرهم على موسى، وبذلك يعرف الناس أن موسى كاذبا، ولا تكون هناك فرصة لإيمان الناس بالله الواحد القهار، بل يستمرون في الإيمان بأن فرعون هو الإله.

استدعى الفرعون كل السحرة والعلماء من مصر وطلب منهم الاستعداد لمواجهة موسى، ووعدهم الفرعون بأن يعطيهم مكافأة كبيرة إن هم انتصروا على موسى.

وأخبر فرعون موسى بأنه سوف يواجه هؤلاء السحرة لكي يثبتوا له أنه كاذب، واتفـق الجميع على أن يكون موعد المباراة يوم العيد، حيث يتجمع الناس من كل اتجاه، وأن يكون ذلك ساعة الضحى، وعلى مرأى ومسمع من جموع الناس.

وفي اليوم المحدد اجتمع الناس من كل مكان في مصر ليشاهدوا تلك المباراة العظيمـة، جاء الفرعون أيضا ومعه أعوانه واتخذ مكانه ليشاهد ما يحدث، كان يظن أن الـسحرة سـوف يغلبون موسى وبذلك يستريح الفرعون، جاء السحرة ومعهم عصيهم وحبالهم، وجاء موسى عليه السلام ومعه عصاه. وفي ساحة واسعة وقف حولها الناس من كل مكان وقف موسى وجها لوجه

أمام السحرة، وساد الصمت، كان موسى يدعو ربه، وكان السحرة يحلمون بالمكافآت والجـوائز التي سوف يعطيها لهم الفرعون إذا نجحوا في هزيمة موسى.

تقدم السحرة إلى موسى عليه السلام وقالوا له: هل تلقي أنت أولا أم نلقي نحن ما معنـا من عصي وحبال.

قال لهم موسى: بل ألقوا أنتم أولا.

ألقى السحرة عصيهم وحبالهم وتخيل الناس أنها تحولت إلى ثعابين، وفي الحقيقة أنها لم تتحول، بل مجرد سحر أي تخيل للبصر أنه يرى ثعابين.

وظن فرعون أنه قضى على موسى، وظن الناس ذلك وظن السحرة أنهم انتصروا.

وأحس موسى بالقلق، ولكن الله طمأنه وأخبره ألا يخاف؛ لأنه هو الذي سينتصر بـإرادة الله، وأمره الله تعالى أن يلقي العصا التي يحملها في يده اليمنى، وسوف تلتهم كل هذه العـصي والحبال التي يخيل للناس أنها ثعابين. ألقى موسى عصاه، فتحولت بقدرة الله تعالى إلـى ثعبـان كبير جدا، تحرك هذا الثعبان والتهم وبلع كل الحبال والعصي التي ظنها الناس ثعابين.

وهكذا انتصر موسى وظهر الحق.

كان السحرة ينظرون إلى ما يحدث في عجب، إنهم خبراء وعلماء في فن السحر، ومـا رأوه عندما ألقى موسى عصاه ليس سحرا إنه معجزة حقيقية، إنهم يعرفون كل فنـون الـسحر، وهم قادرون على تمييز السحر عن غير السحر، وأدركوا أنهم ليسوا أمام ساحر، إنهم أمام نبـي أرسله الله، عندئذ سجد السحرة، وأعلنوا جميعا إيمانهم برب العالمين، رب موسى وهارون.

كان الحق واضحا تماما، ومع ذلك فإن الفرعون بدلا من أن يستسلم للحق ويهتدي إليه، استمر على غروره وعناده، ثم صاح صارخا في السحرة كيف تؤمنون بموسى قبل أن أسـمح لكم بذلك. كان الفرعون يتصور أن أحدا لا يجرؤ أن يؤمن بشيء إلا بعد أن يسمح لـه بـذلك، ولكن السحرة عندما رأوا الحق عرفوا أن الله تعالى أقوى من فرعون وجنوده، فلـم يـستأذنوا الفرعون، وهو عبد لله مهما كانت قوته وغروره، فآمنوا بالله على الفور.

كان من الواضح أمام الناس جميعا، أن الفرعون على الباطل وأن موسى علـى الحـق، وأراد الفرعون أن يقدم للناس تفسيرا كاذبا لما حدث، أراد أن يستمر في خداعهم حتى لا يؤمنوا بموسى وإله موسى كما فعل السحرة، فأعلن فرعون أن هؤلاء السحرة قد اتفقوا مع موسى على ما حدث، وأن موسى هو كبير السحرة وما هؤلاء السحرة إلا أتباعه وتلاميذه.

وتحرك جند الفرعون فقبضوا على السحرة المؤمنين، وهددهم فرعون بالقتل، وقال لهم سأقطّع أيديكم وأرجلكم وسوف أعلقكم على النخيل، إلا أن السحرة لم يتراجعـوا عـن إيمـانهم وأخبروا فرعون أنهم لن يفضلوه على الله الواحد، وأنهم آمنوا بالله تعالى ليغفر لهـم ذنـوبهم، وأنهم لا يهتمون بما يفعله بهم؛ لأنه لا يملك سوى قتلهم ولا يملك لهم دخول الجنة أو النار، أما الله تعالى فهو القادر على كل شيء في الدنيا ثم في الآخرة يعطي المؤمنين جنات ونعيما عظيما.

اغتاظ الفرعون وأمر بقتل السحرة جميعا، فذهبوا شهداء إلى جنة الخلد ورضـوان الله تعالى.

تأكد الآن أمام الجميع أن موسى على الحق وفرعون على الباطل، ومع ذلك استمر عدد كبير من الناس يطيعون فرعون خوفا منه أو رغبة فيما عنده من المال والمناصـب والـسلطة، ولكن كان هناك عدد آخر من الناس قد آمن بموسى من المصريين، وذلك طبعـا خـلاف بنـي إسرائيل الذين هم قوم موسى أصلا، وكان من هؤلاء المصريين الذين آمنوا من يكتم إيمانه خوفا من الفرعون، بل إن عددا من كبار أعوان فرعون وكبار الموظفين المصريين قد آمنوا بموسى، ولكن كانوا يكتمون هذا الإيمان.

وفي أحد الاجتماعات التي كان يعقدها فرعون مع كبار القادة والمـوظفين والأعـوان، اقترح الفرعون أن يقتل موسى، وقال إن ترك موسى وقومه معناه انتشار الفـساد فـي مـصر ونهاية سلطة الفرعون وهنا تدخل رجل مؤمن كان يكتم إيمانه، وكـان مـن كبـار المـوظفين المصريين قائلا: إنه يرفض فكرة قتل موسى فكيف نقتل رجلا لمجرد أنه يقول ربي الله، ثم إنه قد جاء بالمعجزات التي تؤيد صدقه ثم أضاف الرجل: إن موسى قد يكون كاذبا وسوف تكـون عاقبة الكذب على موسى وحده، أما إن كان صادقا فإن ما وعدنا به من العذاب وانتقام الله سوف يصيبنا، واستمر الرجل يشرح رأيه وسأل الحاضرين سؤالا مهما قائلا: إنه إذا كنا اليـوم نحـن حكام الأرض وقادرين على الناس فيها، فترى ماذا يكون موقفنا أمام الله إذا أراد الله أن ينتقم منا فمن يحمينا من هذا الانتقام.

وأحس فرعون بأن كلام هذا الرجل كلاما معقولا وخاف أن يقنع الناس به، فأعلن أنـه ليس هناك رأي صحيح ولا قول صادق ورشيد إلا ما يقوله الفرعون، وأنه هو وحده الذي يدلهم على الطريق الصحيح ولن يسمح بأي رأي يخالف رأيه.

وعندئذ قال الرجل الذي كان يكتم إيمانه إنه يخاف على المصريين أن يحدث لهـم مـا حدث لكل الأمم التي كذبت بالرسل مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، ثم قال لهم أيـضا إنـه يخاف عليهم عذاب يوم القيامة، ثم ذكرهم الرجل بدعوة نبي الله يوسف الذي دعا إلى عبادة الله وحده، ثم قال الرجل بأن من يختار طريق الضلال فلن يهديه الله إلى الحق بل يتركه يستمر في ضلاله.

واستمر هذا الرجل يؤكد على رأيه ويدعوا آل فرعون وأعوانه إلى الإيمان بـالله؛ لأن هذا هو طريق الرشاد، وذكرهم الرجل أن الدنيا قصيرة فانية أما الآخرة فهي الباقية الدائمة وأن من عمل سيئة سوف يجازيه الله بسيئة مثلها، أما من عمل صالحا سواء كان ذكـرا أو أنثـى، وكان مؤمنا فإن الله يدخله الجنة ويرزقه فيها رزقا واسعا عظيما.

ومع كل هذا المنطق الصحيح لم يقتنع الفرعون ولا باقي الأعوان بحديث الرجـل، بـل وطلبوا منه أن يعود إلى دينهم ويترك عبادة الله تعالى، فتعجب الرجل منهم وقال لهـم: كيـف

يدعوهم إلى الجنة ويدعونه هم إلى النار، كيف يدعونه إلى الكفر بالله والشرك به، دون وجه حق ودون علم أو حكمة، وهو يدعوهم إلى الله العزيز الغفار، ثم أضاف الرجل أن دعوتهم باطلة ليس لها قيمة في الدنيا أو الآخرة، وأن الناس سيقفون جميعا أمام الله يوم القيامة، ويدخل الكافرين الفاسدين إلى النار، وساعتها سوف تتذكرون ما قلته لكم اليوم.

ثم ختم الرجل كلامه قائلا: إنه سيترك أمره إلى الله وإن الله بصير بالعباد.

مع كل هذا الذي حدث، ورغم ظهور الحق واضحا رفض الفرعون، ومن معه الإيمان بالله، كما رفضوا السماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر، بل ازداد تعذيبهم لبني إسرائيل، وكان موسى يطلب من قومه أن يصبروا على ذلك حتى يأذن الله لهم بالنجاة والرحيل.

وأصاب الله آل فرعون بشيء من الانتقام لعلهم يتعظون، نقصت مياه النيل نقصا شديدا، وأجدبت الأرض ونقصت المزروعات نقصا شديدا، إلا أن آل فرعون قالوا إن هذا نوع من السحر أصابنا به موسى، وقالوا أيضا إنهم يتشاءمون من موسى، ومن معه.

وعندئذ أصابهم الله بالمزيد من الانتقام لعلهم يتعظون فأصابهم الغرق والطوفان، وظهرت أعداد ضخمة جدا من الجراد والقمل والضفادع حولت حياتهم إلى جحيم لا يطاق، ثم تحولت المياه إلى دماء، ولكن كل هذا لم يجعلهم يفكرون في التوبة والرجوع عن ضلالهم.

استمرت هذه الأشياء الفظيعة من جراد وقمل وضفادع وتحول المياه إلى دماء مدة طويلة، ولم يعد آل فرعون قادرين على تحملها والصبر عليها، فاضطروا إلى الذهاب إلى موسى عليه السلام وطلبوا منه أن يدعو الله أن يصرف عنهم هذه الأشياء، وقالوا إنه لو فعل ذلك فسوف يؤمنون به، ويسمحون لبني إسرائيل بالخروج من مصر، فلما فعل موسى ودعا ربه واستجاب الله لدعائه وصرف عنهم هذه الأشياء وتحسنت أحوالهم نقضوا عهدهم ورفضوا الإيمان بموسى أو السماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر.

بل أكثر من هذا فإن فرعون انتهز هذه الفرصة، وأخذ يكرر على الناس أكاذيبه وأنه إله لهم، وقال فرعون لقومه قارنوا بيني وبين موسى، أنا ملك مصر، والأنهار تجري من تحتي أما موسى فإنه رجل فقير مغمور لا قيمة له، وهو شخص ليس عنده شيء من الذهب، وليس معه عدد من الملائكة تؤيده وتسير معه، وبالتالي لا يستحق أن يكون نبيا ولا بد أنه كاذب، ورغم أن هذا الكلام الذي قاله الفرعون كلام غير منطقي ولا يستند إلى العقل والحجة إلا أن قومه استمعوا إليه وأطاعوه!

بعد كل ما حدث، لم يعد هناك أمل في إيمان فرعون وقومه أو هدايتهم أو اقتناعهم بالسماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر، وعندئذ دعا موسى ربه أن ينتقم من فرعون وقومه وأن ينجيه وقومه منهم، فاستجاب الله لدعاء موسى، وأذن له بالرحيل عن مصر وطلب منهم أن يكون ذلك سرا حتى لا يعرفه الفرعون وجنوده وأخذ بنو إسرائيل يستعدون، وفي الموعد المحدد، تحرك موسى ومعه بنو إسرائيل للخروج من مصر، وبعد مدة من هذه الحركة علم

جواسيس الفرعون بما حدث، فأخبروا الفرعون أن موسى خرج ببني إسـرائيل باتجـاه البحـر الأحمر وأمر الفرعون بتجميع جيش كبير لمطاردة بني إسرائيل والقضاء عليهم، وظن الفرعون أنه سيحقق هذا الأمر بسهولة؛ لأنه استطاع أن يجمع جيشا كبيرا في حين أن عدد بني إسـرائيل بالقياس إلى هذا الجيش قليل جدا.

تحرك الفرعون بجيشه الضخم باتجاه الشرق لملاحقة ومطاردة بني إسرائيل، واستطاع الفرعون وجيشه أن يقترب من بني إسرائيل قبل أن يصلوا إلى حافة البحر بقليل، ولما رأى بنو إسرائيل جيش الفرعون على مقربة منهم ظنوا أنهم لا بد هالكون، إلا أن موسى طمأنهم وقـال لهم إن الله معه سوف ينجيه وينجي بني إسرائيل من الفرعون وجنوده.

وأمر موسى قومه بالتحرك حتى أصبحوا أمام البحر مباشـرة وخلفهـم بقليـل جـيش فرعون، وعندئذ أمر الله تعالى موسى أن يضرب بعصاه البحر، ففعل موسى، فانـشطر البحـر إلى قسمين بينهما طريق يابس ليس فيه ماء وسار بنو إسرائيل على هذا الطريق حتى وصـلوا إلى الناحية الأخرى من البحر.

ووصل الفرعون وجيشه إلى حافة البحر، ورأى فرعون أمامه طريقا يابسا يقسم البحـر إلى قسمين، فقرر أن يسير مع جيشه فوق هذا الطريق ليلحق ببني إسـرائيل وتقـدم الفرعـون وجيشه وساروا على هذا الطريق حتى منتصف البحر، وعندئذ أمر الله البحر أن يعود كما كـان واختفى الطريق اليابس، ولم يعد هناك إلا مياه في كل اتجاه وغرق فرعون وجيشه في البحـر، وبينما كان فرعون يغرق صاح قائلا: آمنت بالله، آمنت بأنه لا إله إلا الله، إنني أعلن أنني مسلم، ولكن الله لم يقبل توبته التي جاءت بعد الأوان، وغرق الفرعون ومات ولفظ البحر جثته وألقتها الأمواج على الشاطئ ليكون عبرة للناس من بعده.

وهكذا نجا موسى وقومه - بفضل الله تعالى - ووصلوا إلى الشاطئ الآخر من البحر، وكان موسى يريد أن يسير بهم إلى فلسطين كما أمره الله تعالى.

وكان من المفروض أن يكون بنو إسرائيل "قوم موسى" على أحسن صورة من الإيمـان والطاعة لله تعالى ثم لنبيهم موسى، خاصة أنهم رأوا العديد مـن المعجـزات، وخاصـة أن الله نجاهم من فرعون وجنوده، بل أغرق الفرعون وجيشه في مياه البحر أمام أعينهم.

ولكن الذي حدث أن كثيرا من بني إسرائيل كانوا عصاة فاسدين لم يؤمنوا بـالله حـق الإيمان وتسببوا بحماقتهم وضعف إيمانهم وفسادهم في كثير من المتاعب والمضايقات لموسـى عليه السلام.

فمجرد أن عبر بهم موسى البحر، ووصلوا إلى الشاطئ الأخر منه وجدوا جماعة مـن الناس يعبدون أصناما، فطلبوا من موسى أن يصنع لهم صنما ليتخذوه إلها مثلما يفعـل هـؤلاء الناس فغضب عليهم موسى ووصفهم بالجهل، وأفهمهم أن هؤلاء الناس على الباطل، وقال لهـم

أيضا: كيف نتخذ إلها غير الله تعالى، الذي فضلنا على العالمين، والذي نجاكم من عذاب الفرعون وقومه.

سار موسى بقومه في شبه جزيرة سيناء يريد الوصول بهم إلى فلسطين، ولما كانت سيناء صحراء حارة ليس فيها أشجار أو مزروعات، فإن الله تعالى جعل السحاب يظلل موسى وقومه لحمايتهم من الشمس، ورزقهم بطعام حلو يسمى "المن"، ولحم شهي من طائر يسمى "السلوى"، وعندما لم يجدوا ماء أمر الله موسى أن يضرب بعصاه في الصخور، فلما فعل انفجرت اثنتا عشرة عينا، فأصبح لكل عائلة من بني إسرائيل عينا تشرب منها الماء؛ لأن عدد عائلات بني إسرائيل كان اثنتا عشرة عائلة.

وهكذا كان الله شديد الرحمة ببني إسرائيل، وكان فضل الله عليهم عظيما، فقد حماهم من الحر، ورزقهم اللحم الشهي والطعام الحلو ليأكلوا منه وفجر لهم عيون الماء ليشربوا منها.

وكان المفروض أن يكون بنو إسرائيل شاكرين لله تعالى على هذه النعم الكثيرة التي أرسلها الله لهم دون تعب أو مشقة، إلا أنهم بدلا من أن يشكروا الله عليها، قالوا لموسى إنهم سئموا من المن والسلوى ويريدون طعاما من البصل والثوم والفول والعدس.

استمر موسى يسير مع بني إسرائيل باتجاه الأرض المقدسة "بيت المقدس وفلسطين " واقترب موسى وقومه من هذه الأرض المقدسة وعندئذ جمع موسى قومه وقال لهم: يا قوم عليكم أن تذكروا فضل الله عليكم، إذ جعل فيكم أنبياء، وجعل منكم الملوك، وأعطاكم أعظم الأشياء التي لم يعطها لأحد غيركم، كان موسى بذلك القول يريد أن يشجعهم على دخول الأرض المقدسة وخوض الحرب والقتال من أجل دخول تلك الأرض، ثم قال لهم موسى: يا قوم عليكم بدخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لكم ولا تكونوا جبناء فتتراجعون عن ذلك، وتخافون من قتال سكان تلك الأرض، وإذا تراجعتم وخفتم فإنكم ستصابون بالخسران.

ورغم كل هذا الذي قاله لهم موسى لتشجيعهم، إلا أنهم رفضوا الاستجابة لكلامه، وقالوا له إنه يسكن في تلك الأرض أناس أقوياء ونحن نخاف أن ندخلها ولن نحاول دخولها إلا إذا تركها هؤلاء الناس فإذا تركها هؤلاء الناس فسوف ندخلها.

وهكذا رفض بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة خوفا وجبنا من مواجهة الناس الذين كانوا يسكنونها إلا أنه من بين بني إسرائيل كلهم، كان هناك رجلان فقط تميزا بالشجاعة، كانا رجلين مؤمنين يعترفان بنعم الله وفضله، قال هذان الرجلان لبني إسرائيل: "يا قوم ادخلوا ولا تخافوا، إنكم إن دخلتم على هؤلاء الناس من الأبواب فإن النصر سيكون لكم، وتوكلوا على الله تعالى ما دمتم تؤمنون به وتؤمنون بقدرته على نصركم وهزيمة عدوكم.

ولم يستمع بنو إسرائيل إلى هذين الرجلين أيضا، وكرروا نفس الكلام الذي قالوه من قبل لموسى، قالوا مرة أخرى لن ندخل هذه الأرض طالما كان هؤلاء الناس الأقوياء فيها ثم قالوا

كلاما يدل على ضعف الإيمان وقلة الذوق قالوا لموسى: ﴿**اذْهب أَنتَ وربك فَقَاتِلا إِنا هاهنَا قَاعِدون**﴾.

عندئذ أدرك موسى أنه لا فائدة من هؤلاء القوم وتوجه موسى بالدعاء إلى الله، وقال إنه لا يملك السيطرة إلا على نفسه وأخيه هارون، ووصف موسى بني إسرائيل الذين رفضوا طاعته ودخول الأرض المقدسة بأنهم قوم فاسقون.

عندئذ أخبر الله تعالى موسى، بأنه كتب على بني إسرائيل أن يتوهوا في الصحراء أربعين سنة، ولن يدخلوا الأرض المقدسة طوال هذه السنين الأربعين.

وبدأت سنوات السنين الأربعين، تاه بنو إسرائيل أربعين سنة حدث فيها الكثير من الحوادث، ونزلت فيها التوراة على موسى، وارتكبت بنو إسرائيل الكثير من أنواع الفساد والمعصية، وتسببوا في الكثير من المتاعب والحزن لموسى وهارون عليهما السلام.

أخذ بنو إسرائيل يسيرون في الصحراء، كانوا بالقرب من جبل الطور الموجود في شبه جزيرة سيناء وأمر الله تعالى موسى أن يصعد إلى الجبل، وترك موسى أخاه هارون ليرعى شئون بني إسرائيل في غيابه واتجه إلى الجبل وصعد فوقه، وهناك كلمه الله تعالى، وأنزل عليه التوراة، وهي كتاب سماوي فيه هدى ونور وفيه بشرى بظهور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليكون آخر الأنبياء والمرسلين.

وحدث أثناء ذلك أن موسى عليه السلام اشتاق أن يرى الله، وطلب موسى من ربه أن يجعله يراه وينظر إليه وقال الله تعالى لموسى ﴿**لن ترَاني**﴾

وتجلى الله للجبل فجعله دكا "تحول إلى تراب ناعم بعد أن كان صخرا جامدا" وسقط موسى مغشيا عليه ﴿**وخَر موسى صعِقًا**﴾ فلما أفاق موسى من الإغماء استغفر الله تعالى وقال: ﴿**سبحانَكَ تُبتُ إِليك وأَنا أَول الْمؤْمِنين**﴾

واستجاب الله لاستغفار موسى وتوبته، فغفر له وكلمه مرة أخرى وذكره بفضل الله عليه، وأعطاه أيضا بعض الأوامر له ولقومه عندما يرجع إليهم بالتوراة.

عاد موسى إلى قومه ومعه التوراة التي أنزلها الله عليه، كان موسى قد غاب عنهم أربعين يوما، حدثت فيها أمور جعلت موسى يغضب غضبا شديدا، ذلك أنه عندما تركهم موسى وذهب إلى الجبل، قام أحدهم، وكان يسمى "السامري" بصنع عجل من الذهب الذي كان معهم، وجعل لهذا العجل فتحتين بحيث يدخل الهواء من إحداهما ويخرج من الأخرى فيحدث بسبب ذلك صوت يشبه صوت العجل "صوت العجل يسمى الخوار" ثم قال السامري لبني إسرائيل عن هذا العجل إنه هو إلههم وإله موسى فنسي، وكان السامري يخدعهم ويكذب عليهم ويقودهم إلى الضلال ومع ذلك استجابوا له وقاموا بعبادة هذا العجل، ولما رأى هارون ما حدث استنكر ذلك، وطلب من بني إسرائيل أن يمتنعوا عن عبادة هذا العجل، وأن يعودوا إلى عبادة الله تعالى وحده، ولكنهم رفضوا الاستماع إليه وهددوه بالقتل بل كادوا يقتلوه بالفعل.

س ر ه ف

عندما عاد موسى ورأى وسمع ما حدث، غضب غضبا شديدا، وقال لهم: لقد فعلتم شيئا خطيرا في غيابي، ثم التفت إلى أخيه هارون وأمسك بشعر رأسه وبلحيته وشده منهما، وقال له: لماذا لم تمنع هؤلاء القوم عن هذا الضلال؟ لماذا تركتهم يفعلون هذا؟

قال هارون لموسى متوسلا: يا أخي لا تشدني من رأسي ولحيتي، إنهم وجدوني ضعيفا بينهم فلم يستمعوا إلي بل كادوا يقتلونني، وإنني لم أوافق على عملهم هذا، ثم طلب هارون من موسى أن يتركه ولا يغلظ عليه حتى لا يشمت الأعداء فيه فترك موسى هارون والتفت إلى القوم وقال لهم: إن الله وعدكم وعدا حسنا، فلماذا تركتم عهد الله؟ أم إنكم تريدون أن يغضب عليكم الله ويعاقبكم، ثم قال لهم إن الله سوف ينتقم من هؤلاء الذين عبدوا العجل.

ثم التفت موسى إلى السامري، وكان السامري هو رأس الفساد والمسئول الأكبر عن هذا الضلال الذي وقع فيه بنو إسرائيل، سأل موسى السامري عن هذا الذي صنعه فحكى له السامري شيئا مما حدث، واعترف بأن نفسه هي التي زينت له هذا العمل القبيح، وعندئذ حكم موسى على السامري بأن يصبح منبوذا وحيدا في الدنيا وأخبره أنه يوم القيامة سينال عقابه من الله تعالى على ما فعل.

ثم أخذ موسى العجل فحرقه حتى تحول إلى رماد ثم نسف هذا الرماد في البحر حتى لا يبقى شيء من أثر هذا العجل ثم صاح موسى قائلا للجميع:

﴿إنما إلهكم اللهُ الذي لا إله إلا هو وسِع كُل شَيءٍ عِلْما﴾.

وبقي على موسى بعد ذلك أن يعاقب هؤلاء الذين عبدوا العجل، فقال لهم: إنهم إن أرادوا أن يتوبوا إلى الله فعليهم أن يقتل بعضهم بعضا حتى يقبل الله توبتهم ففعلوا ذلك فقبل الله توبتهم.

وبعد أن هدأت نفس موسى، أخذ التوراة، وطلب من بني إسرائيل اتباع كل ما فيها، إلا أنهم أخذوا يساومونه، وقالوا له نريد أن نعرف ما فيها أولا فإن كان سهلا قبلناه، وإن كان صعبا رفضناه، فقال لهم موسى بل إن عليهم إتباع كل ما في التوراة بدون استثناء، فكرروا مرة أخرى كلامهم وأخذوا يساومون موسى ويجادلونه فأمر الله تعالى الملائكة أن ترفع الجبل بحيث يصبح فوق رءوس بني إسرائيل، فظنوا أنه سيقع عليهم، وقيل لهم إن الجبل سيسقط عليكم إذا لم تقبلوا كل ما في التوراة، فقبلوا ذلك، ثم أمروا بالسجود فسجدوا، وتعهدوا بأن يأخذوا كل ما في التوراة بقوة وأن يذكروا كل ما فيها فرفع الله عنهم الجبل، إلا أنهم لم ينفذوا عهدهم بعد ذلك.

بعد ذلك اختار موسى سبعين رجلا من بني إسرائيل وذهب بهم إلى الجبل، وكلم الله موسى وسمع هؤلاء السبعون رجلا موسى يكلم الله، فطلبوا من موسى أن يروا الله وإلا فإنهم لن يؤمنوا بموسى، عندئذ أصابتهم رجفة فماتوا جميعا، وأخذ موسى يدعو الله تعالى بالمغفرة ويرجوه أن يعفو عن هؤلاء الرجال، فاستجاب الله لدعاء موسى وأعاد هؤلاء الرجال إلى الحياة بعد موتهم، وبعد أن عاد هؤلاء إلى الحياة بقدرة الله تعالى، بشر الله تعالى موسى بأنه سيظهر

نبي كريم هو محمد صلى الله عليه وسلم ليكون آخر الأنبياء والمرسلين وذكر الله لموسى بعض صفات هذا النبي وبعض صفات أمته، وسمع الرجال السبعون هذه البشرى.

وقعت أحداث أخرى لبني إسرائيل في حياة موسى ووقعت أحداث أخرى لموسى نفسه، ومن هذه الأحداث.

- قصة قارون التي حدثت في مصر قبل خروج بني إسرائيل منها.
- قصة البقرة.
- لقاء موسى بالعبد الصالح: "الخضر عليه السلام" واستفادة موسى من علم هذا الرجل الصالح.

عاش موسى وهارون مع بني إسرائيل إلى أن شاء الله أن ينتهي أجلهما، فمات هارون قبل موسى بقليل ثم مات موسى عليه السلام، رضي الله تعالى عن موسى وهارون.

قصة قارون:

كان قارون من قوم موسى، أي إنه كان من بني إسرائيل، كان قارون غنيا شديد الغنى، كانت لديه خزائن كثيرة يحفظ بداخلها الأموال، وكان لهذه الخزائن مفاتيح، ومن كثرة هذه المفاتيح فإن مجموعة من الرجال الأقوياء كانوا يحملونها بصعوبة، وإذا كانت مفاتيح الخزائن بهذه الكثرة فإن معنى هذا أن أموال قارون كانت كثيرة جدا، بل هائلة جدا.

كان قارون يتعالى على قومه ويظلمهم، وبدلا من أن يشكر الله تعالى على كل هذه الأموال والنعم التي أنعمها الله عليه فإنه أصيب بالغرور، بدلا من أن يخرج الزكاة ويساعد الفقراء والمحتاجين كان يحتقر الفقراء ويتعالى على الناس بأمواله.

نصحه عدد من قومه بألا يفرح بهذا المال الذي عنده فرحا شديدا، وأن يستخدم هذا المال في التقرب إلى الله والعمل للآخرة، وأن يأخذ من نعيم الدنيا قدرا معقولا وأن يحسن إلى الناس كما أحسن الله إليه، وألا يمارس الفساد والانحراف؛ لأن الله لا يحب المفسدين.

لم يستمع قارون إلى هذه النصائح، لم يعترف بأن هذا المال جاء إليه بفضل الله تعالى، وقال إنه كسب هذا المال عن طريق ذكائه وعلمه وخبرته، نسي قارون أن الله أهلك من قبله جماعات وأفرادا كانوا أكثر من قارون قوة وأغنى منه بكثير.

في أحد الأيام خرج قارون في موكب كبير يضم الخدم والحشم والخيول تحمل أنواع الأموال المختلفة والنعم الكثيرة.

نظر الناس الذين نسوا الله تعالى، ولم يعودوا يفكرون إلا في الدنيا فقط، نظروا إلى قارون وأمواله وتمنوا أن تكون لهم أموالا كثيرة مثل أموال قارون، وقالوا: إن قارون صاحب حظ عظيم.

سروف

إلا أن مجموعة أخرى من الناس كانت تتميز بالتقوى والحكمة لم تفعل مثل الناس السابقين، بل عندما سمعوهم يتمنون أن تكون لهم أموال مثل أموال قارون قالوا لهم: إن ثواب الله ورضاه أفضل من أموال قارون، وإن من آمن وعمل صالحا فإن الله سوف يعطيه في الآخرة أجرا عظيما لا يقاس به ما عند قارون من نعم وأموال.

ثم خسف الله بقارون وأمواله الأرض، انشقت الأرض وابتلعت قارون وأمواله وقصوره وكل ما عنده.

فلما رأى الناس ما حدث لقارون، قال الذين كانوا يتمنون أن يصبحوا مثله: الحمد لله أن الله لم يستجب لنا ويعطينا مثل ما أعطى قارون ثم خسف بنا الأرض مثله، واقتنع هؤلاء الناس أن الله هو الذي يرزق الناس كما يريد، وأن الكافرين والظالمين لا يفلحون بل إنهم يصابون بالخسران العظيم، وأن الله تعالى يعطي المؤمنين الجنة في الآخرة؛ لأنهم لا يتعالون على الناس ولا يفسدون في الأرض، وأن عاقبة المتقين هي الخير كل الخير.

بقرة بني إسرائيل:

من المعروف أن بني إسرائيل يحبون المساومة، والجدال، وأنهم لا يأخذون الأمور ببساطة بل لا بد من كثرة السؤال والمجادلة والسؤال عن التفصيلات غير المفيدة في أي موضوع ومما يثبت ذلك قصة البقرة، المعروفة ببقرة بني إسرائيل.

ذلك أنه في أحد الأيام وجد بنو إسرائيل أحد الرجال الأثرياء منهم قتيلا، ولم يعرف أحد من قتل هذا الرجل، فذهبوا إلى موسى عليه السلام، وطلبوا منه أن يسأل ربه عمن قتل هذا الرجل.

وأخذ موسى يدعو ربه أن يدله على هذا القاتل الذي قتل الرجل، وأمره الله تعالى أن يطلب من بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة حتى يعرفوا هذا القاتل.

وأخبر موسى بني إسرائيل بذلك، فقالوا له إنك تهزأ بنا، ولم يكن موسى عليه السلام يهزأ بهم بالطبع، ولكنه كان ينفذ ما أمره الله به.

أكد لهم موسى أنه لا يهزأ بهم، وقال لهم إنه لا يمكن أن يفعل هذا؛ لأن السخرية من الناس والاستهزاء بهم هو من فعل الجاهلية.

كان من المفروض أن يذهب بنو إسرائيل ويذبحوا أي بقرة كما أمرهم موسى عليه السلام، ولكنهم كانوا يحبون المجادلة.

قالوا له: ادع لنا ربك ليبين لنا ما هي تلك البقرة.

قال لهم موسى: إن الله أخبره أنها بقرة متوسطة العمر لا هي بقرة بكر صغيرة ولا هي كبيرة السن عجوزا.

ومن المفروض أن يكتفوا بهذا ويذبحوا بقرة متوسطة السن، ولكن بني إسـرائيل دائمـا تحب المجادلة والمساومة وكثرة السؤال فيما لا يفيد.

قالوا لموسى مرة أخرى أن يسأل ربه عن لون هذه البقرة.

قال لهم موسى إن الله أخبره أنها بقرة صفراء اللون لونها فاقع تسر مـن ينظـر إليهـا لجمال لونها.

لم يكتف أيضا بنو إسرائيل بذلك، بل استمروا يسألون المزيد من الأوصاف عـن تلـك البقرة.

أخبرهم موسى أن الله أخبره أنها بقرة لم يستخدمها أحد في سقي الأرض أو حرثها وأن لونها أصفر ليست به بقع من ألوان أخرى.

وأخيرا سكت بنو إسرائيل عن السؤال والمراوغة وأخذوا يبحثون عن بقرة بها كل هـذه الصفات، فأتعبوا أنفسهم في البحث عن بقرة بهذه الصفات، ولو كانوا قد ذبحوا أي بقرة عنـدما أمرهم موسى في أول الأمر بذلك لما كانوا قد ضيعوا وقتهم في السؤال وبالمجادلة والمراوغـة، ولما كانوا تعبوا في البحث عن بقرة بهذه الصفات.

أخيرا وجدوا البقرة المطلوبة، فذبحوها، فأخذ موسى عليه السلام ذيل البقرة المذبوحـة وضرب به القتيل فنهض من الموت بإذن الله، وأخبرهم بمن قتله، ثم عاد إلـى المـوت مـرة أخرى، وعرف الجميع من هو القاتل، وكانت تلك معجزة أخرى أنعم الله بها على موسى وعلى بني إسرائيل، وهي معجزة إحياء الميت بإذن الله.

موسى والعبد الصالح:

كان موسى عليه السلام نبيا كريما ورسولا عظيما، كان الله تعالى قد أعطـى موسـى الكثير من العلم والحكمة، وأراد الله تعالى أن يعلم موسى أن هناك علوما أخرى لا يعرفها، وأن هناك أناسا صالحين يعرفون علوما وحكمة لا يعرفها موسى وأمر الله موسى أن يذهب إلى أحد هؤلاء العباد الصالحين لكي يستفيد منه دروسا مهمة، كان هذا العبد الصالح يـسمى "الخـضر"، وهو عبد صالح من عباد الله علمه الله علوما كثيرة وحكمة بليغة.

أخبر الله موسى أن عليه أن يمشي حتى يصل على مجمع البحرين، وأن يحمـل معـه سمكة في سلة، فإذا وصل إلى المكان المطلوب فإن السمة ستعود إلى الحياة بعد الموت وتنطلق من السلة وتقفز في البحر، وفي هذا المكان الذي سوف تعود فيه السمكة إلى الحياة بعد المـوت وتقفز من السلة في البحر سوف يجد هذا العبد الصالح.

نفذ موسى ما أمره الله به، وضع سمكة في سلة، وأعطاها لخادمه وأمره أن يحملها معه، ثم صحب هذا الخادم وظل يسير ويسير، وأخبر موسى الخادم أنه سوف يظل يسير ويسير حتى

يصل إلى مجمع البحرين وأن على الخادم أن يخبره عندما تعود السمكة إلى الحياة وتقفـز مـن السلة وتعود إلى البحر.

وصل موسى وخادمه إلى شاطئ البحر، كان موسى متعبا من كثر المشي، رقـد فـوق صخرة واستسلم للنوم، وبقي الخادم مستيقظا، وأثناء نوم موسى فوجئ الخادم بأن السمكة تعـود إلى الحياة وتقفز من السلة وتعود إلى البحر.

عندما استيقظ موسى نسي الخادم أن يخبره بما حدث وسار موسى مـع الخـادم مـدة أخرى، فلما أحس بالجوع قال للخادم هيا نتغذى لقد تعبنا من كثر السفر والمشي.

وعندئذ تذكر الخادم ما حدث للسمكة عند الصخرة عندما كان موسى نائما، فأخبر موسى بما حدث واعتذر له عن النسيان، وقال له إن الشيطان هو الذي أنساه أن يـذكر ذلـك لموسـى بمجرد حدوثه عندئذ عرف موسى أن المكان الذي قفزت فيه السمكة على البحـر هـو المكـان المقصود، فعاد موسى وخادمه إلى ذلك المكان، فلما وصل إليه وجد رجلا صالحا هناك وعرف أن هذا هو الرجل الذي يريد موسى أن يلتقي به.

طلب موسى من الرجل الصالح أن يصحبه معه بعض الوقت حتى يتعلم منـه العلـوم النافعة، قال له الرجل الصالح: إنك لن تستطيع أن تصبر على مصاحبتي؛ لأنك سترى أمورا لن يسهل عليك فهمها.

قال موسى إنه سوف يصبر وسوف يكون مطيعا لذلك العبد الصالح ولن يعصاه أبدا.

قال الرجل الصالح: إذا صحبتني يا موسى فلا تسألني عن شيء حتى أحدثك أنا عنه.

ووافق موسى على ذلك وانطلق موسى مع العبد الصالح يسيران على شاطئ البحر.

وبينما هما يمشيان على ساحل البحر، جاءت إحدى السفن فطلب العبـد الـصالح مـن أصحاب السفينة أن يحملوهما معهم فوافق أصحاب السفينة، وكان أصحاب السفينة يعرفون العبد الصالح، فلم يأخذوا أجرا من موسى أو من العبد الصالح مقابل ركوبهما في السفينة، وكان هـذا سلوكا كريما من أصحاب السفينة تجاه العبد الصالح.

وعندما رست السفينة وغادرها أصحابها ظل العبد الصالح فيها ولـم يغادرهـا، وظـل موسى معه، وفوجئ موسى أن العبد الصالح أخذ يخرق السفينة.

تعجب موسى من سلوك العبد الصالح، كيف يخرق السفينة ويفسدها مـع أن أصـحابها أكرموه وحملوه بدون أجر.

قال موسى للعبد الصالح: لماذا خرقت السفينة؟ هل تريد إغراق أهلها فـي حـين أنهـم أكرموك ولم يأخذوا منك أجرا؟

قال العبد الصالح لموسى: لقد قلت لك من قبل لا تسألني عن شيء حتى أحدثك عنه، لقد قلت لك من قبل إنك لن تصبر على مصاحبتي.

اعتذر موسى للعبد الصالح وقال له إنه لن يسأله بعد الآن.

سار موسى مع العبد الصالح فوجدا غلاما صغيرا، فقام العبد الصالح فقتله.

تعجب موسى عجبا شديدا كيف يقتل العبد الصالح هذا الغلام.

قال موسى للعبد الصالح: لماذا فعلت هذا الفعل المنكر؟!

قال العبد الصالح لموسى: إنك تسأل مرة أخرى بعد أن اتفقنا على عدم السؤال، لقد قلت لك إنك لن تصبر على مصاحبتي.

قال موسى لن أسألك مرة أخرى، وإن سألتك بعد الآن عن شيء فامتنع عن صحبتي وفارقني.

ومشى موسى مع العبد الصالح حتى وصلا على قرية، فطلبا من أهل القرية الطعام، ولكن أهل القرية رفضوا إعطاءهما شيئا قط.

ووجد العبد الصالح جدارا على وشك السقوط، فقام العبد الصالح بإصلاح هذا الجدار، ولم يطلب أجرا على ذلك، وتعجب موسى عجبا شديدا من ذلك الرجل، الذي يصلح جدارا في قرية رفضت أن تعطيهما الطعام أو تستقبلهما كضيفين.

لم يصبر موسى أيضا، وسأل العبد الصالح لماذا فعلت ذلك؟! إنك كنت تستطيع أن تطلب أجرا مقابل إصلاح الجدار.

عندئذ قال العبد الصالح لموسى: ليس لك بعد الآن عذر، لا بد أن نفترق، إنك يا موسى قلت وتعهدت ألا تسأل مرة أخرى، وقلت إنك لو سألت لا يكون لك الحق في مصاحبتي بعدها وها أنت تسأل، ولذلك لا يكون لك الحق في مصاحبتي بعد الآن.

ثم قال العبد الصالح لموسى سوف أفسر لك كل هذه الأمور التي لم تستطع فهمها.

إنني لم أفعل كل ما حدث إلا بأمر الله تعالى، وكان لكل فعل من الأفعال التي فعلتها سببا مهما، فالسفينة التي خرقتها كانت مملوكة لقوم مساكين يعملون في البحر وينالون رزقهم عن طريق هذه السفينة، وكان هناك ملك ظالم يستولي على كل السفن في ذلك الوقت، لم يكن هؤلاء المساكين يعلمون أن هذا الملك ينتظر مرور السفن حتى يأخذها ويستولي عليها، ولو مروا عليه بها لاستولى عليها، فقمت بإحداث عيوب في السفينة حتى لا يستولي عليها ذلك الملك.

وأما الغلام الذي قتلته، فكان ابنا لأبوين صالحين مؤمنين، ولو عاش هذا الغلام لتسبب في إرهاق الوالدين إرهاقا شديدا وربما يتسبب في كفرهما وطغيانهما ورحمة من الله بهما مات هذا الغلام على يد العبد الصالح، ورزقهما الله بغلام بدلا منه يكون بارا بهما ورحيما ومطيعا لهما.

وأما الجدار الذي أصلحه العبد الصالح دون أجر، فكان ملكا لولدين يتيمين مات أبوهما، وكان رجلا صالحا، وكان تحت هذا الجدار كنز من المال، وأراد الله تعالى أن يظل الكنز محفوظا تحت الجدار حتى يكبر الطفلان ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار، وهذا من رحمة الله بهما وإكراما لأبيهما الصالح الذي مات وتركهما صغيرين يتيمين، وعندئذ فهم موسى حكمة

تلك الأفعال التي قام بها العبد الصالح، وأدرك موسى أيضا أنه رغم كونه نبـي ولديـه علـوم وحكمة كثيرة علمها الله له، فإن هناك من علمه الله علوما لا يعلمها موسـى مثـل هـذا العبـد الصالح.

(١١)

داود عليه السلام

داود عليه السلام هو أحد أنبياء الله، وهو أحد أنبياء بني إسرائيل، وقد أرسل الله تعـالى عددا كبيرا من الأنبياء إلى بني إسرائيل وذلك لكي يصححوا الانحرافات والخرافات الكثيرة التي كانت بنو إسرائيل تأتي بها.

كان داود نبيا وملكا في نفس الوقت، وهذا فضل من الله تعالى عليه حيث جمـع لـه الله بين الملك والنبوة.

وأنزل الله على داود أحد الكتب السماوية، وهو "الزبور"، وبالإضافة إلى الزبـور فـإن الكتب السماوية هي التوراة التي نزلت على موسى، وقد حرفها اليهود بعد ذلك، والإنجيل الـذي نزل على عيسى ابن مريم وقد حرفها النصارى بعد ذلك، والقرآن الكريم الذي أنزله الله علـى محمد صلى الله عليه وسلم وقد حفظ الله القرآن الكريم من التحريف والتغيير والتبـديل، ووعـد بحفظه من التحريف حتى يوم القيامة؛ لأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء ولا نبي بعده.

كان داود عليه السلام رجلا صالحا يكثر من ذكر الله تعالى، كان يقوم بالليـل ليـصلي ويقضي وقتا طويلا من الليل في الصلاة، وكان يصوم يوما ويفطر يوما أي إنـه كـان كثيـر الصيام.

كان داود يتمتع بصوت جميل جدا، ونظرا لحلاوة صوته فإن كل من يسمعه كان ينصت ويطرب له، وكان داود عليه السلام إذا رتل الزبور كان الناس والجـن والطيـور والحيوانـات تنصت إليه وتستمتع بقراءته وترتيله للزبور، بل إن الجبال نفسها كانت تحب سماع القراءة التي يقرؤها داود، وفي الحقيقة فإن كل شيء في هذا الكون يسبح الله تعالى، ولكننـا لا نفهـم هـذا التسبيح.

وكان داود قوي الشخصية، وكان يتميز بالحكمة وبلاغة القول، وكان يحكم بين النـاس فلا يردون له حكما، وكان داود أيضا يجيد صناعة الأشياء من الحديد، فكان يصنع من الحديـد الدروع التي تحمي المحاربين أثناء القتال، وكان يصنع أشياء كثيرة من الحديد.

وقبل أن يكلف الله داود بالرسالة والملك، كان بنو إسرائيل في حالة شديدة من الـضعف والتفكك، وكان هناك جماعة من الناس تسمى العماليق تسكن بين مـصر وفلـسطين، وكـانوا يقاتلون بني إسرائيل يوهمونهم، ويذيقونهم ألوانا من الذل والعذاب والظلم، وكان قائد العمـاليق يسمى "جالوت"، وقد استطاع هؤلاء العماليق أن يستولوا علـى التـوراة مـن بنـي إسـرائيل ويحتفظون بها عندهم.

س ر ه ف

أحست بنو إسرائيل بالعار والذل، فذهبت إلى أحد أنبيائها وقالت له: نحن نريد أن يبعث الله لنا ملكا لكي يقودنا في القتال لنستعيد التوراة ونتخلص من ذل الأعـداء وسـيطرتهم علينـا واغتصاب أرضنا وتشريدنا.

قال لهم ذلك النبي: هل سوف تقاتلون حقيقة إذا بعث الله لكم ملكا ليقودكم فـي القتـال، إنني أعرف أنكم جبناء لا تحبون القتال.

قالت بنو إسرائيل: لا بد أن نقاتل في سبيل الله حتى نستعيد أرضنا وأهلنا ولن نرضـى بالذل والعار بعد الآن.

قال لهم ذلك النبي إن الله اختار لكم ملكا هو "طالوت".

قالت بنو إسرائيل: كيف يكون "طالوت" هو الملك وهناك من هو أحق بالملك منه، وهو ليس غنيا، بل هناك الكثير من الأغنياء من بني إسرائيل يمكن أن يكون أحدهم هو الملك.

قال لهم ذلك النبي، إن الله هو الذي اختار طالوت ملكا عليكم، وهـو يتميـز بـضخامة الجسم كما يتميز بغزارة العلم، والله تعالى يختار من يشاء ليكون ملكا، والله تعالى هـو الأعلـم بالأمور كلها.

قالت بنو إسرائيل: نحن نريد علامة تدل على أن الله تعالى اختار "طالوت" ملكا علينا.

قال لهم ذلك النبي، إن الله تعالى أمر الملائكة بأن تذهب حيث التابوت المقدس الذي بـه التوراة والذي سلبه الأعداء منكم ثم تأتي بهذا التابوت وتضعه في أيدي طـالوت كـدليل علـى اختيار الله له ليكون ملكا عليكم، وبالفعل وقعت تلك المعجزة وجاءت الملائكة بالتابوت وأعطته لطالوت، فاضطرت بنو إسرائيل أن تقبل طالوت ملكا عليها.

وبدأ طالوت يعد الجيش الذي سوف يقاتل به العماليق، ودعا بني إسرائيل لـدخول هـذا الجيش، ولكن أكثرهم رفض ذلك، واستجاب لطالوت عدد من بني إسرائيل فكون منهم الجـيش الذي سوف يقاتل معه.

سار "طالوت" بهذا الجيش، وسط الصحراء والجبال وشعر الجميـع بـالعطش الـشديد، فأخبرهم قائدهم وملكهم "طالوت" بأنهم سوف يمرون على نهر فـي الطريـق وأن مـن يريـد الاستمرار في الجيش فإن عليه أن يصبر على العطش فلا يشرب من ماء النهر إلا قطرات ماء قليلة يغرفها بيده.

فلما وصلوا إلى النهر أسرع الكثيرون منهم فشربوا كثيرا من المـاء، إلا أن مجموعـة قليلة صبرت على العطش فلم تشرب إلا حفنة ماء قليلة اغترفتها بيدها.

طلب "طالوت" من الذين شربوا كثيرا أن يعودوا؛ لأنهم لا يصلحون للحرب والقتال، ثم عبر النهار بالعدد القليل من الجنود الذين صبروا على العطش ولم يشربوا إلا قطرات قليلة مـن الماء اغترفوها بأيديهم من النهر.

استمر طالوت يسير بجنوده حتى ظهر جيش الأعداء، وكان هذا الجيش يتكون من عدد كبير جدا من الجنود بقيادة "جالوت".

وعندما رأى جنود "طالوت" جيش الأعداء، قالوا إنه جيش كبير ولا نستطيع أن نحاربه ونصمد أمامه إلا أن عددا آخر من جنود "طالوت" قالوا: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله والله مع الصابرين" كان هؤلاء الجنود يثقون في قدرة الله تعالى، الذي هو أقوى الأقوياء، ويستطيع أن ينصرهم مهما كان عددهم قليلا، وأن الذي يحسم المعركة هو الإيمان وليس العدد والعدة.

كان داود عليه السلام هو أحد هؤلاء الجنود المؤمنين الصابرين كان قد انضم إلى جيش "طالوت" عندما دعا طالوت بني إسرائيل على تكوين جيش يقاتل به الأعداء، وكان داود من الذين صبروا على العطش عندما مر الجيش على أحد الأنهار، وكان داود من الجنود الذين لم يخافوا من الأعداء رغم كثرة عددهم حيث إنه تمسك بالإيمان بالله والثقة في أن الله ينصر المؤمنين رغم قلتهم على الكافرين رغم كثرتهم، كان داود في ذلك الوقت لا يزال شابا صغير السن يعمل راعي غنم.

بدأت المعركة، والتحم الجيشان، جيش كبير جدا، كثير العدد والعدة هو جيش الكفار بقيادة "جالوت" وجيش قليل العدد هو جيش المؤمنين بقيادة طالوت، ودعا المؤمنون ربهم أن يرزقهم الصبر وأن يثبت أقدامهم وينصرهم على الكافرين.

كان جالوت قائدا مغرورا، يشعر بقوته ويشعر بضعف جيش "طالوت"، برز "جالوت" حاملا سيفه وطلب أن يخرج أحد الجنود لكي يبارزه.

كان داود في تلك اللحظة شابا صغير السن، وكان يعمل في رعي الغنم، ولم يكن قد أصبح نبيا أو ملكا بعد، ولكنه كان شديد الإيمان والثقة بالله تعالى، ولم يكن مع داود من السلاح إلا مقلاع من الحبال وعدد من الأحجار.

خرج داود لكي يبارز "جالوت" وسخر منه جالوت فكيف يبارز راعي غنم صغير لا خبرة له بالقتال والمبارزة والحرب، بل إنه حتى لم يكن معه سيف يبارز به، كان كل سلاحه مجرد قطع من الحجر وعصا ومقلاع من الحبال يستخدم في رمي الأحجار.

أصر داود على المبارزة واضطر جالوت أن يقبل ذلك، تقدم داود، وهو على ثقة من نصر الله، كان جالوت يثق في قوته وسلاحه، أما داود فكان يثق في الله وحده، وضع داود قطعة من الحجر في المقلاع ثم ألقى بها في الهواء باتجاه جالوت، أصابت قطعة الحجر جالوت في جبهته فسقط على الأرض، تقدم منه داود وأخذ سيفه وقتله، فلما رأى جيش جالوت مصرع قائدهم بهذه الطريقة، شعروا بالخوف الشديد وفروا هاربين.

وبذلك انتصر جيش "طالوت"، واستعادت بنو إسرائيل أرضها وأهلها وقضت على سيطرة الأعداء عليها، وفرح الجميع بذلك، وقال الملك "طالوت" إن داود يجب أن يكون قائدا

للجيش، وسوف أزوجه ابنتي ومنذ تلك اللحظة أصبح داود قائدا لجيش بني إسرائيل، شكر داود الله على ذلك، وازداد إيمانا وأكثر من الصلاة والصيام والتسبيح، جعله الله نبيا وجعله ملكا على بني إسرائيل، وأنزل عليه كتابا سماويا هو الزبور، وأعطاه الحكمة والعلم، وسخر لـه الجبـال والطيور لتسبح الله معه، ومن نعم الله عليه أيضا أن الله جعل له الحديد، وهو صلب جامد لينـا في يده يشكله كما يشاء، كما جعل الجبال والطيور تردد معه الزبور عندما يقرأه.

استمر داود يقود بني إسرائيل ويخوض بهم الكثير من الحروب حتى استطاع أن يهـزم كل الأعداء وأن يبني مملكة كبيرة، وكانت حياة داود كلها جهاد وقتال في سبيل الله ولم يهزم في معركة قط؛ لأن الله كان ينصره دائما.

كان داود أيضا يعرف أحكام الشريعة، ويحكم بها بين الناس، وكان يقـسم وقتـه بـين الجهاد في سبيل الله، أو الصلاة والعبادة أو الحكم بين الناس في قضاياهم وفقا للشريعة.

وفي أحد الأيام كان داود يصلي في المحراب، وكان هذا هو وقت الصلاة وليس وقـت الجلوس إلى القضاء والحكم بين الناس، وكان داود إذا دخل إلى الصلاة في المحـراب لا يـأذن لأحد بالدخول عيه حتى لا ينشغل عن صلاته، وفجأة وجد داود رجلين قد قفزا من السور ودخلا عليه، وهو يصلي، وفوجئ بهما داود أمامه، وقال له أحدهما على الفور: إن هذا أخـوه، وإنـه يمتلك تسعة وتسعين نعجة، وهو ليس له إلا نعجة واحدة، ولكن أخاه يريد الاستيلاء على نعجته ليكمل بها نعاجه فتصبح مائة نعجة، وإنه يصر على ذلك ويلح عليه، وطلب منه أن يحكم بينهما بالعدل، فقال داود على الفور إن أخاك قد ظلمك عندما طلـب أن يأخـذ نعجتـك، فانـصرف الرجلان، وشعر داود أنه تسرع في الحكم فمن المفروض أن يستمع إلى الرجل الآخر، فربمـا يكون الحق معه.

ومن المعروف أن القاضي يجب أن يستمع إلى كلا الخصمين ثم يفكر ثم يحكم؛ لأنه قد يأتي أحد الخصمين مثلا ويقول قد فقأ الثاني عيني. وربما يكون الأول قد فقـأ للثـاني عينيـه الاثنتين، وبالتالي يجب ألا يتسرع القاضي في الحكم ويحكم بعد سماع خصم واحد، بل يجب أن يستمع إلى الخصمين الاثنين ثم يفكر ثم يحكم.

وفهم داود أن هذين الرجلين كانا ملكين أرسلهما الله إليه ليعلمه ويختبره، وعندئذ شـعر داود بالندم، وأخذ يستغفر الله ويطلب منه المغفرة والتوبة، وركع لله تعالى وأخـذ يـدعو الله أن يغفر له، فقبل الله توبته وبشره بدخول الجنة، وتعلم داود من ذلك ألا يتسرع فـي الحكـم، وأن يستمع إلى جميع أطراف القضية قبل أن يحكم فيها.

ومن فضل الله على داود أيضا أن الله رزقه بابنه سليمان عليه السلام الذي أصبح نبيـا وملكا على بني إسرائيل بعد داود، وكان سليمان فتى ذكيا أعطاه الله القدرة على فهـم الـشريعة والحكم بين الناس بذكاء وحكمة، وقد تفوق سليمان على والده داود في ذلك، ففي أحد الأيام جاء رجلان أحدهما صاحب زرع والآخر صاحب غنم، يعرضان على داود مشكلة بينهما، حيـث إن

س ر ه ف

غنم الثاني دخلت إلى زرع الأول فأفسدته، فحكم داود أن يأخذ صاحب الـزرع الغـنم مقابـل الخسارة التي لحقت بزرعه، وكان سليمان موجودا مع والده في تلك اللحظة واستمع إلى القضية فحكم بحكم آخر، وهو أن يستلم صاحب الزرع الغنم فيستفيد بلبنها وصوفها، ويـستلم صـاحب الغنم الزرع ويحاول أن يصلحه، وعندما يتم إصلاح هذا الزرع يعود إلى صاحبه وتعود الغـنم إلى صاحبها، ومع أن عمر سليمان كان في ذلك الوقت إحدى عشرة سنة إلا أنه تفوق على والده في ذلك الحكم، وعرف داود أن سليمان سيكون حكيما ذكيا وفرح بذلك.

استمر داود فترة من الزمن نبيا وملكا على بني إسرائيل، ومع كل الأعمـال العظيمـة والانتصارات الباهرة التي حققها داود لبني إسرائيل، ومع كل النعم التي أنعمها الله علـى بنـي إسرائيل في حياة داود إلا أن أكثرهم كفروا، وكانوا يكثرون من المعاصي والانحرافات وتكثـر بينهم الخرافات، والاعتداءات، وكانوا ينهون عن المنكر ولا يأمرون بالمعروف فلعنهم داود عليه السلام.

فهرس

(١٢)

سليمان عليه السلام

سليمان عليه السلام هو أحد أنبياء الله، وهو ابن داود عليه السلام، وكان سليمان عليه السلام نبيا وملكا على بني إسرائيل في نفس الوقت، أي إنه جمع بين النبوة والملك مثل أبيه داود عليه السلام.

كان سليمان رجلا صالحا يكثر من الاستغفار والدعاء والتسبيح، وكان يشكر الله دائما على نعمه الكثيرة التي أنعمها الله عليه.

كان من نعم الله على سليمان، أنه جعله ذكيا حكيما، وعلمه لغة الطيور والحيوانات والحشرات وسخر له الجن والطير والرياح وأعطاه ملكا عظيما ليس له مثيل، وقد أحب الله سليمان وجعله من المقربين ووعده بالجنة في الآخرة، وكان الله يستجيب لدعائه.

دعا سليمان عليه السلام ربه أن يعطيه ملكا عظيما لا يكون لأحد من بعده مثله، واستجاب الله لدعائه، وأعطاه ملكا عظيما ليس له مثيل.

كان سليمان ملكا عظيما، خضع له جميع الناس في مملكته، وفي الأماكن المحيطة بتلك المملكة، وليس هذا فحسب فإن سليمان عليه السلام كان يستطيع أن يسخر الجن والشياطين فكان هؤلاء ينفذون أوامره ويساعدون في بناء مملكته العظيمة، كان بعضهم يحارب معه، وكان البعض الآخر يعمل في البناء والتعمير، وكان البعض الآخر يعمل في المصانع والمعامل الضخمة التي تنتج مختلف المصنوعات المعدنية والزجاجية وغيرها، وكان بعضهم أيضا يغوص في أعماق البحار والمحيطات ليستخرج منها الجواهر والدر أو المعادن المختلفة.

وكان سليمان قادرا على معاقبة كل من يخالفه من الجن والشياطين.

وسخر الله له الريح، تطيعه، وتنفذ أوامره، وتحمله أو تحمل جنوده بسرعة كبيرة إلى حيث يريد.

وعلمه الله لغة الطيور والحيوانات والحشرات، وسخرها الله له فكانت تعمل في خدمته وتنفذ أوامره في الحرب والسلم.

وهكذا فإن مملكة سليمان كانت مملكة ليس لها مثيل ولم يعط الله أحدا بعد سليمان ملكا مثل هذا الملك الذي كان يشترك في بنائه البشر والجن والشياطين والطيور والريح وغيرها.

كان سليمان شديد الذكاء والحكمة، وهذا من فضل الله عليه، وفي حياة والده داود احتكم رجلان أحدهما صاحب زرع والآخر صاحب غنم إلى داود في قضية بينهما، كانت غنم الرجل الثاني قد دخلت زرع الرجل الأول وأفسدت هذا الزرع فحكم داود بأن يأخذ صاحب الزرع غنم الرجل الثاني تعويضا له على ما أصابه من خسارة، ولكن سليمان عليه السلام عندما سمع

القضية، وكان لا يزال فتى صغير السن حكم بأن يأخذ الرجل الأول غنم الرجل الثاني فيستفيد بها ويقوم الرجل الثاني بإصلاح الزرع الذي أفسدته الغنم، فإذا انتهى من إصلاحه وعاد كما كان، يسلم الزرع للرجل الأول ويأخذ غنمه، وكان هذا الحكم هو الحكم الصحيح.

ومما يذكر أيضا من ذكاء سليمان وحكمته، أن امرأتين جاءتا إلى سليمان ومعهما طفل واحد، وكانت كل امرأة تزعم أن هذا الطفل ابنها، وأراد سليمان أن يعرف من هي الأم الحقيقية، وتظاهر بأنه سوف يأمر بقطع الطفل إلى قطعتين فتأخذ كل امرأة منهما نصف الطفل، وعندئذ صرخت إحدى المرأتين وقالت لا أريد أن تقسم الطفل إلى نصفين، ومن الأفضل أن تعطيه للمرأة الأخرى بدلا من تقسيمه إلى نصفين.

عندئذ أدرك أن هذه المرأة هي أم الطفل؛ لأنها فضلت أن يذهب الطفل إلى المرأة الأخرى سليما بدون أن يصيبه أذى؛ لأن قلب الأم لا يطاوعها في مشاهدة تقطيع الطفل أو إيذائه، وعرف سليمان أن هذه المرأة هي أم الطفل فأعطاه لها.

كان سليمان عليه السلام يكثر من الاستغفار والتوبة، وفي أحد المرات نسي سليمان أن يصلي العصر في وقت الصلاة، كان مشغولا بالخيول يفحصها ويعدها للحرب، كان سليمان يحب الخيل لأنها تساعده في الحرب والجهاد في سبيل الله كان يعرف لغتها ويتحدث إليها، وكان يمسح على أعناقها وأرجلها، وعندما تذكر سليمان الصلاة قام مسرعا فأدى الصلاة، وأخذ يستغفر الله تعالى على النسيان ويطلب منه العفو والمغفرة، ثم عاد إلى الخيول ليمسح على أعناقها وأرجلها في حنان.

في أحد المرات مرض سليمان مرضا شديدا، كان سليمان غزير العلم ومع ذلك لم يستطع أن يعرف الدواء الذي يشفيه، كان الكثير من الحكماء والأطباء يعملون في خدمة سليمان، ومع ذلك لم يعرف أحدهم الدواء الشافي، استدعى سليمان الأطباء من كل مكان فلم يعرف أي منهم الدواء، كانت الجن والطيور والحيوانات تعمل في خدمة سليمان، وحاولوا جميعا علاجه دون جدوى، وأخذ المرض يشتد على سليمان حتى إنه كان إذا جلس على كرسيه، يبدو وكأنه جسد بلا روح، حيث إنه لم يكن يستطيع أن يتحرك أي حركة من شدة المرض.

كان سليمان لا يتوقف، وهو مريض عن ذكر الله، وكان يطلب الشفاء من الله تعالى؛ لأنه كان يعرف أن مملكته العظيمة بكل من يعمل فيها من البشر والطيور والجن والشياطين لا تستطيع أن تحقق له الشفاء إلا بإذن الله، وبعد أن يئس الجميع من شفاء سليمان، استجاب الله لدعائه وشفاه فحمد الله تعالى وشكره على ذلك.

كان سليمان عليه السلام أيضا يستطيع أن يصهر المعادن ويحولها من الحالة الصلبة إلى الحالة السائلة، وقد استخدم هذا الأمر في صناعة السبائك، والسبائك تتكون من خليط من المعادن، كان سليمان يخلط الحديد بالنحاس مثلا لصناعة البرونز، وهي سبيكة لها مميزات كثيرة، وتستخدم في صناعة الأسلحة والدروع وغيرها، كان سليمان يستخدم قدرته على صهر

المعادن في صناعة السبائك، وكانت لديه مصانع ضخمة لذلك تقوم بصناعة الكثير من الأدوات اللازمة في الحرب والسلم.

وقد استخدم سليمان هذه الصناعات والعلوم التي أنعم الله عليه بها، وكذلك استخدم قدرته على تسخير الجن والشياطين في إعادة بناء المسجد الأقصى ببيت المقدس، وكان الذي بنى هـذا المسجد لأول مرة هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وذلـك بعـد بنـاء إبـراهيم وإسماعيل الكعبة بأربعين سنة.

كان سليمان عليه السلام يهتم بالجيش اهتماما شديد؛ لأنه كان يحب الجهاد في سبيل الله، وكان جيش سليمان من أعجب الجيوش، كان يتكون من جنود من البشر وجنـود مـن الجـن، وجنود من الطيور وغير ذلك أيضا، كان سليمان دائما يفحص هذا الجيش ويجعله مستعدا للقتال في كل وقت، وكان سليمان يخرج بجيشه للتدريب أو القتال، كان سليمان في إحدى المرات يسير مع جيشه واقترب هذا الجيش من منطقة يعيش بها النمل، وسمع سليمان عليه السلام نملة تحذر أصحابها من النمل، وتقول لهم: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم سريعا؛ لأن جيش سليمان يقتـرب منكم، وقد يمرون فوقكم فيحطمونكم.

كان سليمان يفهم لغة النمل، فلما سمع النملة تقول ذلك ضحك سليمان من قولها، وشعر بالرحمة تجاهها؛ لأنه كان رجلا رحيما رغم قوته وقوة جيشه، وأمر جيشه بأن يسير بعيدا عـن النمل حتى لا يتسبب في قتل النمل وتحطيمه، وأخذ سليمان يشكر الله تعالى علـى هـذه الـنعم الكثيرة التي أنعمها الله عليه وعلى والديه، ودعا ربه أن رحمه وأن يجعله من العباد الصالحين.

في أحد المرات كان سليمان عليه السلام يفحص جيشه، وكان هذا الجيش جيشا منظمـا، لكل جندي منه سواء كان من البشر أو الجن أو الطيور مكان معين، ووجد سليمان أن الهدهد لا يقف في مكانه، كان الهدهد هو أحد جنود الاستطلاع في هذا الجيش؛ حيث يقوم مع غيره مـن جنود الاستطلاع بمعرفة أخبار الملوك الآخرين أو الجيوش الأخرى أو معرفـة أمـاكن المـاء والطرق وغيرها حتى يكون سليمان على معرفة بكل الأمور من حوله فيتخذ القرارات الصحيحة الملائمة، ولا شك أن القائد الذي يبني قراراته على معلومات صحيحة تكون قراراتـه صـائبة ومفيدة، ويستطيع أن يحقق النصر، ولا تقابله في أي وقت مفاجآت لم يحسب حسابها أو يـستعد لها، كان الهدهد في ذلك الوقت غائبا بدون استئذان، وهذا أمر لا يقبله سليمان من أحـد جنـود جيشه، قرر سليمان أن يعاقب الهدهد عقابا شديدا، وقال سليمان إنه لن يعفو عن الهدهـد إلا إذا كان هناك سبب خطير وهام جدا تسبب في غيابه.

وبعد مدة قصيرة جاء الهدهد، كان هناك أمر هام تسبب في غيابه، تقدم الهدهد بثقة إلى سليمان عليه السلام وأخبره أنه لديه أنباء جديدة لا يعرفها سليمان وهذه الأنباء عن مملكة سـبأ التي تقع في اليمن، وسأله سليمان عليه السلام ما هذه الأنباء الهامة، قال الهدهد إنـه وجـد أن امرأة هي التي تحكم مملكة سبأ، وأنها تمتلك مملكة متقدمة قوية، ومع تقدمهم وقوتهم فـإنهم لا

س ر ه ف

يعبدون الله فقد أضلهم الشيطان وجعلهم يعبدون الشمس ويسجدون لهـا مـن دون الله، وأظهـر الهدهد تعجبه من هؤلاء الناس الذين لا يعبدون الله تعالى الذي يعلم كل شيء، سواء كان سرا أم علنا، ثم ختم الهدهد كلامه بالإقرار بالإيمان بالله، وحده قائلا: "الله لا إله إلا هـو رب العـرش العظيم".

عندئذ أخبر سليمان الهدهد بأنه سوف يتأكد من ذلك فإذا كانت الأنبـاء صـحيحة فإنـه سيعفو عن الهدهد أما إذا كان يكذب ليبرر غيابه فسوف يعاقبه عقابا شديدا.

ثم أحضر سليمان عليه السلام قلما وورقة وكتب رسالة وأعطاها للهدهـد، وأمـره أن يحمل هذه الرسالة ويذهب بها إلى مملكة سبأ باليمن، ويلقيها في غرفة الملكة، ثم يختبأ ويراقـب ما يحدث من الملكة وقومها بعد قراءة الرسالة ثم يعود ليخبر سليمان بما حدث، نفذ الهدهد أوامر سليمان على الفور، فحمل الرسالة وطار بها إلى مملكة سبأ، وألقى الرسالة في غرفة الملكة ثـم اختبأ ليراقب ما يحدث.

وجدت الملكة الرسالة في غرفتها، فتعجبت كيف وصلت تلك الرسالة إلى ذلك المكـان، وفتحتها على الفور وقرأت ما بها كانت الرسالة تقول: ﴿**إنه من سليمان وإنه بِسمِ اللهِ الـرحمن الرحِيم. ألا تَعلُوا علي وأْتُونِي مسلِمين**﴾ وأحست الملكة أن الأمر خطير، فجمعت كل زعمـاء قومها وكبارهم وحكماءهم ونقلت إليهم مضمون الرسالة قالت لهم: إن سليمان يريدنا أن نستسلم له، وإنني لن أتخذ قرارا في ذلك حتى تشيروا على برأيكم؛ لأن الأمر خطير جدا.

قال هؤلاء إننا أقوياء جدا ونستطيع أن نحارب سليمان، لكننا نفضل أن تتخـذي أنـت القرار المناسب وسوف نلتزم به جميعا.

فكرت الملكة قليلا، وكانت ملكة معروفة بالهدوء والحكمة ثم قالت لا داعي للحرب، ولا داعي إلى التسرع في اتخاذ القرار يجب أولا أن نرسل بعض رجالنا إلى سليمان ليقـدموا لـه الهدايا ويعرفون في نفس الوقت مدى قوته وحقيقة أمره، ثم بعد ذلك نتخذ القرار المناسـب ثـم أمرت على الفور بتجهيز هدية عظيمة يحملها عدد من الرجال ويذهبون بهـا ليقـدمونها إلـى سليمان.

سمع الهدهد ورأى كل ما حدث، وأسرع عائدا إلى سليمان ونقل إليه كل ما رآه وسـمع بدقة شديدة.

عندئذ أمر سليمان الهدهد بالانصراف؛ لأن مهمته انتهت.

بعد فترة من الزمن، وصل الرجال الذين جاءوا من سبأ بالهدية وتقدموا بها إلى سليمان، ولكن سليمان عليه السلام رفض الهدية، وقال لهم إن لديه الكثير من الأموال التي أنعم الله بهـا عليه، وإنه لا يريد هديتهم بل يريد منهم أن يسلموا، وإلا فإنه سوف يزحف عليهم بجيش عظـيم لا يستطيعون مواجهته.

عندئذ قررت الملكة أن تذهب بنفسها للقاء سليمان فلما علم سليمان بذلك، جمع عددا من أتباعه من البشر والجن والطيور وغيرها، وقال لهم من يستطيع أن يحمل عرش هذه الملكة إلى هنا قبل أن تصل الملكة؟ فقال عفريت من الجن: أنا أستطيع أن أحضر هذا العـرش فـي مـدة ساعة أو ساعتين، أي قبل أن تقوم من هذا المكان.

فقال أحد الموجودين، وكان عنده علم من الكتاب علمه الله له، إنني أستطيع أن أحـضر هذا العرش فورا في لمح البصر.

وقبل أن يغمض سليمان عينيه ويفتحهما كان هذا الذي عنده علم من الكتاب قد أحـضر عرش الملكة، وعندئذ أدرك سليمان أن الله سخر له جنودا ذات قدرات لا حدود لها لدرجـة أن يأتيه عرش الملكة من اليمن إلى فلسطين في أقل من لمح البصر، وأدرك سليمان أن هذه الـنعم اختبار من الله له، فإما أن يشكر وأما أن يكفر، ولأن سليمان كان مؤمنا صالحا فإنـه شـكر الله كثيرا على هذه النعم، وكان سليمان يعرف أن حمد الله وشكره على نعمته يزيد الإنـسان نعمـة وفضلا من الله، أي ذلك الشكر يكون لصالح الإنسان أما عدم الشكر والكفر بنعمة الله فإنه يؤدي بصاحبه إلى الهلاك والخسارة، وهذا الكفر وعدم الشكر لا يضر الله شيئا؛ لأن الله غنـي عـن الناس جميعا.

بعد أن استلم سليمان عرش الملكة، أمر بإجراء بعض التغييرات البسيطة فيه ليرى هـل تعرفه الملكة عندما تأتي أم لا تعرفه.

وأمر سليمان أيضا ببناء قصر عظيم يستقبل فيه هذه الملكة، وأن يكون هذا القصر فـي البحر، وتكون أرضيته من نوع صلب من الزجاج الشفاف، وتظهر من تحته مياه البحر بما فيها من أسماك تسبح وأعشاب وغيرها بحيث يظنه من يراه أنه ليست هناك أرضية أصلا بل هـي ماء.

كان سليمان يريد أن يظهر للملكة مدى تقدم مملكته بفضل الله تعالى حتى تقبل الملكـة بالدخول في الإسلام هي وقومها بدون عناد.

وعندما وصل موكب الملكة، رأت العرش أمامها، وسألها البعض هل هذا العرش يـشبه عرشها فقالت: كأنه هو نفس العرش وتعجبت من ذلك.

وبعد ذلك قالوا لها: ادخلي القصر لتقابلي سليمان فلما أرادت أن تدخل القصر ظنـت أن الأرضية الزجاجية الصلبة الشفافة ماء، ولم تعرف أنها نوع من الزجـاج الـشفاف الـصلب، فخشيت أن تبتل ملابسها، فرفعتها وكشفت عن ساقيها، فقالوا لها: إنه ليس مـاء ولا تخـافي أن تبتل ملابسك، بل هي أرضية صنعت من زجاج صلب شفاف.

عندئذ أدركت الملكة أن مملكة سليمان أعظم الممالك، وكانت تظن من قبل أن مملكتهـا هي أكثر الممالك حضارة وتقدما وأدركت أنها أمام نبي صادق وملك عظيم، فلما دخلـت علـى

سليمان وقابلته أعلنت إسلامها وقالت $"رب إني ظلمت نفسي وأسـلمت مـع سـليمان لله رب العالمين".

في أحد الأيام كان سليمان يجلس على أحد الكراسي، وهو مستند على عـصاه، وجـاءه الموت، فمات، وهو على هذه الحالة، وكان الجن يعملون لديه في الأعمال الشاقة المرهقة، ولـم تعرف الجن أنه مات؛ لأن الجن لا تعلم الغيب، وظن الجن أنه لا يزال حيا فاستمروا في عملهم الشاق، وجاءت حشرة صغيرة جدا من الحشرات التي تأكل الخشب، وأخذت تأكل مـن عـصا سليمان التي كان يستند إليها، تآكلت العصا شيئا فشيئا حتى لم تعد العصا تحتمل استناد سـليمان عليها، ثم انكسرت العصا، وسقط سليمان من فوق الكرسي، عندئذ أدركت الجن أن سليمان مات فتوقفوا عن العمل، ولولا تلك الحشرة التي أكلت من العصا لما علمت الجـن بمـوت سـليمان، ولاستمروا فترة أخرى يعملون رغم موت سليمان.

- **إدريس عليه السلام**
- **إلياس عليه السلام**
- **اليسع عليه السلام**
- **ذو الكفل عليه السلام**
- **الرسل الذين أرسلهم الله إلى أصحاب القرية والذين ورد ذكرهم في سورة يس.**

(١٣)

إدريس عليه السلام

إدريس عليه السلام هو أحد أنبياء الله، جاء إدريس بعد نوح عليه السلام، وكان يعمـل صانعا للثياب حيث يحول القماش إلى ملابس.

وكان إدريس عليه السلام صديقا ونبيا، وقد رفعه الله إلى مكانة عالية.

وتقول بعض الروايات إنه هو نفسه أوزوريس الـذي ظهـر أيـام الفراعنـة وقـدماء المصريين في مصر، ولا ندري إن كان هذا صحيحا أم لا.

وقد جاء عنه في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿واذْكُرْ فِـي الْكِتَـابِ إِدرِيـس إِنـه كَـان صِـديقًا نبِيـا. ورفَعنَـاه مكَانًـا علِيـا﴾
(سورة مريم الآية ٥٧)

(١٤)

إلياس عليه السلام

إلياس عليه السلام هو أحد أنبياء الله، وقد بعثه الله تعالى إلى أهل بلدة تـسمى "بعلبـك" الآن في لبنان، وكان أهل هذه البلدة يعبدون صنم ضخم يسمى "بعل" ولـذلك سـميت مـدينتهم "بعلبك" أي مدينة بعل. وقد دعا إلياس عليه السلام أهل هذه المدينة إلى ترك عبادة هذا الـصنم وعبادة الله وحده، وطلب منهم أن يفكروا بعقولهم فكيف يتركون عبادة الله الذي خلق كل شيء، وهو أحسن الخالقين، والذي هو ربكم ورب الناس جميعا بما فيهم الآباء والأجداد، إلا أن أهـل هذه المدينة رفضوا الاستجابة له فانتقم الله منهم ونجى الله إلياس، ومن آمن معه من هذا الانتقام، وكان إلياس عليه السلام رجلا محسنا ومؤمنا، وهو صاحب سيرة حسنة حفظها الله له بين الناس وذكره في القرآن الكريم: ﴿**وإن إلياس لمن المرسلين، إذ قال لقومه ألا تتقون، أتـدعون بعـلاً وتذرون أحسن الخالقين، الله ربكم ورب آبائكم الأولين، فكذبوه فإنهم لمحضرون، إلا عباد الله المخلصين، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إلياسين، إنا كذلك نجزي المحسنين، إنه مـن عبادنا المؤمنين**﴾ (سورة الصافات الآيات ١٢٣ ـ ١٣٢).

(١٥)

اليسع عليه السلام

اليسع عليه السلام هو أحد أنبياء الله، وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، ووصفه بأنه كان واحدا من الأخيار، وأن الله جعله من الذين فضلهم على الناس جميعـا يقـول الله تعـالى: **﴿واذْكُر عِبادنَا إِبراهِيم وإِسحاقَ ويعقُوب أُولِي الأَيدِي والأَبصارِ، إِنا أَخْلَصنَاهم بِخَالِصةٍ ذِكْـرى الدارِ، وإِنهم عِندنَا لَمِن الْمصطَفَين الأَخْيارِ، واذْكُر إِسماعِيلَ والْيـسع وذَا الْكِفْـلِ وكُـلٌ مـن الأَخْيارِ﴾** (سورة ص الآيات ٣٤ ـ ٤٨)

وقال عنه أيضا:

﴿وإِسماعِيلَ والْيسع ويونُس ولُوطًا وكُلا فَضلْنَا علَى الْعالَمِين﴾ (الأنعام: ٨٦)

ولم يفصل القرآن الكريم قصته.

(١٦)

ذو الكفل عليه السلام

ذو الكفل عليه السلام هو أحد أنبياء الله، ولم يفصل القرآن الكريم قصته، وقد وصفه الله تعالى بأنه كان من الصالحين والصابرين، وأن الله سيدخله في رحمته وقد جاء ذكر هذا النبـي في قوله تعالى: ﴿**وإسماعِيلَ وإدريس وذَا الكِفْلِ كُلٌ من الصابِرين، وأَدخَلْنَاهم فِي رحمتِنَا إِنهـم من الصالِحِين**﴾ (الأنبياء ٨٥ ـ ٨٦).

الرسل الذين أرسلهم الله إلى أصحاب القرية والذين جاء ذكرهم في سورة يس.

وهؤلاء الرسل ورد ذكرهم في سورة يس، ولم يذكر الله تعالى أسـماءهم أو علـى أي قرية أرسلوا، وتتلخص قصتهم في أن الله تعالى أرسل رسولين إلى إحدى القرى لـدعوة أهلهـا إلى الإيمان بالله وترك الشرك والظلم، ثم أرسل الله رسولا ثالثا ليساعد هذين الرسولين في تلـك الدعوة، إلا أن أهل تلك القرية رفضوا الاستجابة لهؤلاء الرسل وأخذوا يرددون الحجـج التـي يرددها الكفار عادة فقالوا للرسل إنكم بشر ولستم ملائكة فكيف يرسلكم الله إلينا وأنتم بشر مثلنـا ثم اتهموهم بالكذب وأن الله تعالى لم يكلفهم بالدعوة ولا طلب منهم إبلاغ الرسالة.

وعندئذ قال هؤلاء الرسل إن الله تعالى يعلم أننا صادقون، وإنه أرسلنا إليكم لندعوكم إلى الإيمان بالله وحده، وإننا سوف نقوم بإبلاغكم بالرسالة وتعريفكم بالحق.

عندئذ قال أهل القرية لقد تشاءمنا منكم، وإذا لم تكفوا عن هذه الدعوة فـسوف نعـذبكم عذابا شديدا أو نقتلكم رجما بالحجارة.

ورد عليهم الرسل قائلين لهم: إن أعمالكم هي سبب ما أنتم فيه مـن شـر، وعلـيكم أن تتشاءموا من أنفسكم وليس منا؛ لأنكم ترتكبون الكثير من المعاصي والذنوب التي تقـودكم إلـى الهلاك.

وفي تلك اللحظة جاء من إحدى أطراف المدينة رجل مؤمن، جاء مسرعا ليعلن الحـق في مواجهة الباطل ويعلن إيمانه بهؤلاء الرسل، ويطلب من قومه أن يؤمنوا ويـستمعوا علـى هؤلاء الرسل، ويستجيبوا لهم ولا يستمرون في العناد والكفر، كان الرجل يعرف أنه سـيتعرض للتعذيب والانتقام وربما الموت على يد هؤلاء القوم الكافرين، ومع ذلك أصر على إعلان الحق مهما كانت النتائج.

قال الرجل: أيها القوم استجيبوا لهؤلاء الرسل إنهم على الهداية، وهم لا يطلبون مـنكم أجرا على هدايتكم ودعوتكم إلى الحق.

ثم تكلم الرجل عن نفسه وقال: لماذا لا أعبد الله وحده، وهو الذي خلقني، وسوف نرجع جميعا إلى الله ليحاسبنا فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار، وقال أيضا: "من الغريـب

أنني كنت أعبد آلهة باطلة ولا أعبد الله وحده، وهذه الآلهة الباطلة لا تستطيع أن تدفع عني الأذى والضرر في الدنيا والآخرة إذا أراد الله ذلك، إنني إذا عاندت وتمسكت بالكفر أكون غبيا جاهلا أسير في الضلال".

ثم ختم كلامه قائلا: إنني آمنت بالله وحده وأنا أعلن ذلك بأعلى صوتي مهما كانت النتائج، اغتاظ القوم من الرجل الذي واجههم بالحق، وبدلا من أن يستجيبوا له استمروا على عنادهم وكفرهم بل وقاموا بقتل الرجل المؤمن.

فلما مات الرجل المؤمن أدخله الله الجنة، فتمنى هذا الرجل أن يعلم قومه ما حصل عليه من نعيم وكرم وغفران من الله تعالى جزاء على إيمانه واستشهاده، وبينما كان مصير الرجل المؤمن هو المغفرة والجنة فإن مصير أهل هذه القرية الكافرين كان مختلفا فقد أرسل الله إليهم جنودا من السماء فانتقموا منهم وأنزلوا بهم عقاب الله، وحدثت صيحة كبيرة هائلة قتلتهم جميعا، وبعد الموت كان مصيرهم النار فخسروا في الدنيا والآخرة.

* * *

(١٧)

أيوب عليه السلام

أيوب عليه السلام هو أحد أنبياء الله، كان يعبد الله تعالى على دين إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو دين الإسلام؛ لأن الإسلام هو الدين الذي أنزله الله على جميع الأنبياء والرسل من آدم وحتى محمد صلى الله عليه وسلم.

كان أيوب عليه السلام رجلا صالحا، يتميز بالصبر، وكثرة العبادة والتسبيح وذكر الله تعالى.

كان أيوب رجلا غنيا، فقد أعطاه الله الكثير من الحدائق والمزارع والمواشي والأموال، كان يشكر الله على ذلك، ويعطي من هذه الأموال والخيرات إلى الفقراء والمساكين.

وكان أيوب رجلا قويا يتمتع بصحة جيدة، ولا يشكو من الضعف أو المرض، وكان يستعمل هذه القوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين وأعطى الله أيوب عددا كبيرا من الأولاد، فكان كلما ازداد عدد أولاده كلما أصبح أكثر تواضعا، ولم يصبه الغرور قط.

كان يشكر الله دائما ويكثر من الصلاة والصيام والتسبيح، وكانت له زوجة صالحة جميلة تعبد الله مثله ولا تشرك به شيئا وتحسن معاملة زوجها ولا تعصى له أمرا.

أراد الله تعالى أن يختبر أيوب، فإذا كان أيوب يشكر الله على النعمة، فماذا يحدث لو سلب الله منه هذه النعمة؟ هل يصبر على ذلك؟

ماتت المواشي والدواب وهلكت الأغنام والأبقار ولم يعد لدى أيوب شيء منها فصبر على ذلك وحمد الله تعالى.

هلكت مزارع أيوب، وفسدت الحدائق وضاع كل شيء، لم يعد أيوب يمتلك الحدائق أو المزارع، لم يعد لدى أيوب شيء منها، فصبر على ذلك وحمد الله تعالى، ضاعت جميع أموال أيوب فصبر على ذلك وحمد الله تعالى، مات أولاد أيوب الواحد بعد الآخر حتى لم يعد لديه ولد واحد.

قال أيوب: إنا لله وإنا إليه راجعون، وصبر على ذلك وحمد الله تعالى.

أصاب المرض جسم أيوب، فأصبح ضعيفا لا يقوى على الحركة، وشعر بآلام المرض في كل أنحاء جسمه، ولكنه صبر على ذلك وحمد الله تعالى.

فقد أيوب كل شيء: المال، الأولاد، الصحة، ولكنه صبر رغم كل ذلك وحمد الله تعالى.

لم يعد لدى أيوب إلا زوجته الصالحة، التي صبرت عليه وأخذت تخدمه، وهو مريض، ولم تشعر بالضيق أو الملل، رغم الفقر والمرض وموت الأولاد، كانت سيدة صابرة مؤمنة مثل أيوب.

استمرت أحوال أيوب شديدة السوء لسنوات طويلة، فلم تزده هذه الأحـوال الـسيئة إلا صبرا على صبره وإيمانا على إيمانه، ظل دائما يسبح الله ويحمده.

كانت زوجته تخرج في كل يوم لتبحث عن شيء من الطعام حتى تعـود بـه وتطعـم زوجها المريض، كانت تتعرض للمضايقات وتتعب كثيرا حتى تحصل علـى بعـض الطعـام، ولكنها كانت تصبر على ذلك وتحمد الله تعالى.

في أحد الأيام خرجت زوجة أيوب، وأخذت تبحث عن الطعام، ولم تجد شيئا، فاستمرت في البحث، حتى تأخرت عن موعد عودتها.

تضايق أيوب عليه السلام من تأخرها وأقسم بالله أن يضربها مائة ضربة عندما يـشفى، كان يثق في أن الله تعالى سوف يشفيه ويدفع عنه المرض والفقر والـبلاء، نجـح أيـوب فـي الاختبار، فقد صبر على المرض والفقر وموت الأولاد.

فلما دعا أيوب ربه بالدعاء الوارد في هذه الآية: ﴿**وأيوب إذْ نَادى ربه أَني مسني الضر وأَنتَ أَرحم الراحِمين**﴾

استجاب الله لدعائه وأمره أن يضرب الأرض برجله فلما فعل ذلك انفجرت عين مـاء، فأمره الله أن يشرب منها، وأن يغتسل بمائها، فلما فعل ذهبت عنه الأمراض في الحال.

قال أيوب: الحمد لله.

فلما عات زوجته وجدته سليما صحيحا ليس به مرض ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى شكرا كثيرا.

أعطاه الله الكثير من المزارع والحقول والدواب والمواشي والأموال أكثر مما كان عنده في السابق.

شكر أيوب الله تعالى على هذه النعم، واستغلها في الأعمال الصالحة.

وقالت زوجة أيوب: الحمد لله.

تذكر أيوب القسم الذي أقسم بأن يضرب زوجته مائة ضربة عندما يشفي، وأراد أن يبر بالقسم.

كان زوجته سيدة صالحة مؤمنة، فأمره الله تعالى أن يجمع مائـة عـود مـن أعـواد الريحان، ويضرب به امرأته ضربة واحدة، وبذلك يبر بقسمه، وفي نفس الوقت لا يؤذي امرأته؛ لأن أعواد الريحان أعواد طرية هشة لا تؤذي من يضرب بها، فـرح أيـوب بـذلك وفرحـت زوجته؛ لأن الله تعالى جعله يبر بقسمه بهذه الطريقة دون أن يتسبب في الألم لزوجتـه الوفيـة الصالحة.

(١٨)

يونس عليه السلام

يونس عليه السلام هو أحد أنبياء الله، أرسله الله تعالى إلى قومه في بلدة تسمى نينـوي، تقع في منطقة الموصل ببلاد العراق، وكان عدد سكان تلك البلدة في ذلك الوقت أكثر من مائـة ألف نسمة، فدعاهم يونس عليه السلام إلى عبادة الله وحده، وطاعته، ولكنهم لم يـستجيبوا لـه، فغضب يونس غضبا شديدا، وترك هذه البلدة واتجه إلى شاطئ البحر، فوجد سفينة هناك فركبها لتحمله إلى مكان آخر.

تحركت السفينة بركابها، وسارت مسافة معينة في البحر ثم بـدأت الـسفينة تـضطرب وتميل، واكتشف قائد السفينة أن حمولة السفينة ثقيلة، وأنها سوف تغرق لو سـارت بحمولتهـا، وكان لا بد من تخفيف تلك الحمولة، كانت السفينة بعيدة جدا عن الشواطئ، اجتمع ركاب السفينة واتفقوا على إجراء قرعة بينهم، ومن تخرج عليه القرعة يلقونه في المـاء حتـى يخـف وزن السفينة فلا تغرق.

وتم إجراء القرعة فخرج اسم يونس عليه السلام، وكان معنى ذلك أنهم سوف يلقونه في البحر، رضي يونس بقضاء الله وقدره ولم يجزع أو يخف، بل ظل يسبح الله كعادته دائما، حيث إن يونس عليه السلام، كان دائما يسبح الله في الليل والنهار في ساعات الفرج وساعات الـضيق في اليسر، وفي العسر.

تم إلقاء يونس عليه السلام في الماء، وفي تلك اللحظة أرسل الله تعالى حوتًا ضخما إلى المكان الذي تم إلقاء يونس به، والحيتان هي كائنات بحرية حجمها كبير جـدا، ويـصل حجـم الواحد منها أحيانا إلى حجم عمارة كبيرة.

ابتلع الحوت يونس عليه السلام، واندفع يونس إلى بطن الحوت واستقر بـه، كـان الله تعالى قد أمر الحوت ألا يمضغ يونس بأسنانه أو يكسر عظامه ولحمه بفكه، أو يهـضمه داخـل جهازه الهضمي، والله تعالى قادر على كل شيء، وجميع من في الأرض أو الـسماء يطيـع الله تعالى ويخضع لله عندما يريد الله ذلك، والله قادر على كل شيء، يقول للشيء: كن، فيكون.

أحس يونس، وهو داخل بطن الحوت أنه لا يزال حيا ولم يمت، ولأنه كان يحب ذكر الله وتسبيحه دائما فإنه أيضا أخذ يسبح الله تعالى، كان الحوت قد اتجه إلى قاع البحر، وكان الظلام شديدا جدا، فهناك ظلام الليل، وظلام قاع البحر، وظلام بطن الحوت، ومن داخل تلك الظلمـات نادى يونس عليه السلام ربه وقال: ﴿**لا إله إلا أنتَ سبحانَكَ إني كُنتُ من الظالمين**﴾.

واستجاب الله ليونس، وأمر الحوت بالذهاب إلى الشاطئ ولفظ ما في بطنه، فخرج يونس عليه السلام، ولكنه خرج بعد أن أصبح ضعيفا متعبا، كان الشاطئ خاليا من كل شـيء، وكـان

يونس يحتاج إلى شيء يحميه من الرياح والشمس، فأمر الله تعالى شجرة تسمى "يقطين"، فنبتت على الفور. وظللت بأوراقها يونس عليه السلام، وأكل يونس من ثمارها، وأخذ يسترد عافيته شيئا فشيئا، وعندئذ شكر الله تعالى وسبحه كعادته دائما، وكان يونس يدرك أنه لولا تسبيح الله لظل في بطن الحوت ولم يكن ليخرج منه أبدا.

ثم اتجه إلى بلدته نينوي، فرأى أهلها قد أصبحوا في حالة سيئة جدا؛ حيث أصابهم الله بالكثير من المحن والمصائب ورأى أنهم ندموا على الكفر والمعصية وأعلنوا رغبتهم في التوبة والرجوع إلى الله والإيمان به، وعدم معصيته واستجابت جميع البلدة أي أكثر من مائة ألف نسمة لدعوة يونس، وكان هذا الإيمان سببا في أن الله تعالى رفع عنهم المحن والمصائب وجعل أحوالهم تتحسن بعد أن كانت سيئة.

وعاشت تلك البلدة في سعادة وهناء بعد ذلك، واستمرت أحوالهم حسنة طيبة مدة من الزمن.

(١٩)

زكريا عليه السلام

أرسل الله عددا كبيرا من الأنبياء إلى بني إسرائيل، ومن هؤلاء الأنبياء زكريا عليه السلام.

ظهر زكريا عليه السلام في زمن عجيب غريب، كان أكثر بني إسرائيل قد انحرفوا عن الشريعة التي نزلت على موسى عليه السلام، وانتشرت بينهم الخرافات ومارسوا الفساد والمعصية، إلا أن عددا قليلا منهم كان لا يزال متمسكا بتعاليم موسى، ومحافظا على الشريعة، وكان هؤلاء يصلون في المسجد المقام بمدينة بيت المقدس، وكان يؤمهم في الصلاة رجل صالح يسمى "عمران".

وكانت هناك شقيقتان صالحتان، تزوجت إحداهما بزكريا عليه السلام وتزوجت الأخرى بعمران.

وبعد مدة من الزمن أحست زوجة عمران بأنها قد حملت ففرحت بذلك، وقررت أن يكون المولود الذي تلده في خدمة المعبد، كانت تريد أن يكون المولود ذكرا، وقبل أن تلد زوجة عمران مات زوجها.

وعندما وضعت زوجة عمران المولود وجدته أنثى، وليس الذكر كالأنثى طبعا، ولكنها أيضا لم تتراجع عن جعل هذه الأنثى في خدمة المعبد، كانت هذه المولودة هي السيدة مريم أم المسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى أمه السلام، عندما علم الناس بأن زوجة عمران قد ولدت مولودا جاء الرجال الصالحون ومنهم زكريا عليه السلام وطلبوا جميعا أن تكون المولودة تحت رعايتهم وفاء لذكرى شيخهم وإمامهم "عمران" الذي مات قبل أن تلد زوجته.

كان زكريا يرى نفسه أنه أحق الناس برعاية المولودة؛ لأنه زوج خالتها، ولكن باقي الرجال الصالحين أصروا على أن ينالوا هذا الشرف، قال كل منهم أنا أحق برعايتها وتربيتها.

وقرروا إجراء قرعة فيما بينهم، ومن يفوز بالقرعة يصبح هو الأحق برعايتها.

أحضر كل رجل منهم قلمه الذي يكتب به، وأحضر زكريا عليه السلام قلمه أيضا، ووضعوا الأقلام كلها في سلة واحدة، وجاءوا بأحد الأطفال وطلبوا منه أن يضع يده في السلة ويستخرج قلما واحدا، فلما فعل الطفل، خرج قلم زكريا عليه السلام، قال زكريا أنا أحق برعايتها وقد كسبت القرعة، ولكن باقي الرجال لم يقبل بالنتيجة، وطلبوا إعادة إجراء القرعة، واتفقوا على إلقاء الأقلام في النهر، والقلم الذي يسير ضد التيار يكون صاحبه هو الأحق برعاية وتربية مريم، وألقى الجميع أقلامهم في النهر فسارت جميعا مع اتجاه التيار إلا قلم زكريا عليه السلام فإنه سار ضد اتجاه التيار.

ومع ذلك طلب الرجال إعادة إجراء القرعة مرة أخرى وقالوا نلقي بالأقلام في النهر والقلم الذي يسير في اتجاه التيار يكون صاحبه هو الأحق بتربية مريم، ومرة أخرى ألقى الجميع أقلامهم في النهر فسارت جميعا في عكس اتجاه التيار إلا قلم زكريا عليه السلام فإنه سار في اتجاه التيار.

عندئذ أيقن الجميع أن الله يريد أن تكون مريم تحت رعاية زكريا عليه السلام.

وأصبح زكريا هو المسئول عن تربية ورعاية مريم، واهتم بها زكريا عليه السلام اهتماما شديدا، فكان يعلمها الحكمة والأخلاق الحميدة، وكبرت مريم وانقطعت إلى العبادة في المسجد، كانت تكثر من الصلاة وذكر الله تعالى.

وكان زكريا عليه السلام يذهب إليها في المسجد ليرعاها ويعلمها، وكان كلما دخل عليها في المحراب الذي تتعبد فيه وجد عندها أنواعا كثيرة من الطعام والفاكهة، والعجيب أنه كان يرى عندها الفاكهة التي لا تظهر إلا في فصل الصيف في فصل الشتاء، والفاكهة التي لا تظهر إلا في فصل الشتاء يجدها عندها في الصيف، وتعجب زكريا من هذا وسألها عن هذا الأمر العجيب، فقال إن هذا الرزق من عند الله تعالى، وإن زكريا يقول سبحان الله القادر على كل شيء.

كانت امرأة زكريا لا تلد، ومر زمن طويل على زواجهما دون أن تحمل، وأصبحت زوجة زكريا عجوزا، ولم يعد هناك أمل في أن تلد بعد الآن، وكان زكريا عليه السلام قد أصبح عجوزا ضعيفا جدا، فشعر رأسه قد أصبح شديد البياض "أي شاب شعره"، وحتى عظامه أصبحت شديدة الضعف، وكان زكريا عليه السلام يدرك أنه من المستحيل أن تحمل امرأته وتلد، وقد أصبح بهذا الضعف الشديد، وهي أيضا قد أصبحت عجوزا عاقرا لا يمكن أن تلد، ولكنه مع ذلك كان يثق أن الله قادر على كل شيء.

كان زكريا عليه السلام يشعر برغبة شديدة في أن يصبح أبا، وكان يريد أن يصبح ابنه رجلا صالحا يحافظ على الشريعة والتعاليم ويصبح نبيا من أنبياء بني إسرائيل ليحمي الشريعة، ويحافظ عليها من ضلال وانحرافات بني إسرائيل ودعا زكريا ربه أن يرزقه ولدا صالحا يرث الحكمة والنبوة، واستجاب ربه لدعائه، وجاءت الملائكة إلى زكريا، وهو قائم يصلي في المحراب وبشرته أن الله استجاب لدعائه، وأنه سيكون له غلام يسمى يحيى، ولم يكن هذا الاسم معروفا من قبل، وأن هذا الغلام سيكون نبيا وسيدا وصالحا.

كان من العجيب طبعا أن تلد امرأته، وهي عاقر عجوز، وأن يرزقه الله بغلام بعد أن أصبح عجوزا جدا كبير السن جدا ضعيفا جدا، ولكن الله على كل شيء قدير، وهو يقول للشيء كن فيكون.

سروف

فرح زكريا عليه السلام فرحا شديدا، وطلب من الله أن يعطيه علامة تدل على استجابة الله له، فأخبره الله أن تلك العلامة هي أنه لن يستطيع أن يكلم الناس بلسانه ثلاثة أيـام، ويمكـن فقط في هذه الأيام أن يتفاهم مع الناس بالإشارة، وأنه عندما يحدث ذلك ستكون امرأته حـاملا، وأن معجزة الله تحققت، وعليه في تلك الحالة أن يشكر الله ويسبحه مساء وصباحا.

وفي أحد الأيام خرج زكريا إلى الناس كعادته، وأراد أن يتكلم معهم، فعجز عن النطق، ولم يستطع الكلام، فتفاهم مع الناس عن طريق الإشارة، وطلب منهم أن يـسبحوا الله، واسـتمر هذا الأمر ثلاثة أيام لم يتوقف زكريا عليه السلام فيها عن ذكرا لله وتسبيحه بقلبه؛ لأن لسانه لم يكن قادرا على النطق.

مرت الأيام والشهور، وجاءت ساعة الولادة، ووضعت زوجة زكريا طفلا جميلا، هـو يحيى عليه السلام، كان الله تعالى هو الذي اختار له هذا الاسم عندما بشرت الملائكـة زكريـا باستجابة الله لدعائه، ليس هذا فقط، بل إن الله تعالى حياه بالسلام يوم ولد، ويوم مـات، ويـوم يبعث حيا في يوم القيامة حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿**وسلامٌ عليهِ يوم ولد ويـوم يموتُ ويوم يبعثُ حيا**﴾ (مريم: ١٥).

فهرس

(٢٠)

يحيى عليه السلام

يحيى عليه السلام هو أحد الأنبياء، أرسله الله إلى بني إسرائيل، وهو ابن زكريا عليه السلام، وابن خالة عيسى ابن مريم عليه وعلى أمه السلام، وقد ظهر يحيى عليه السلام قبل ظهور عيسى المسيح عليه السلام بفترة قصيرة، وبشر يحيى عليه السلام بظهور عيسى ابن مريم، كما بشر عيسى ابن مريم بظهور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك.

كانت أحوال بني إسرائيل في تلك الفترة شديدة السوء، فقد انتشرت فيهم الخرافات والمعاصي ولم يكن أكثرهم يحافظ على الشريعة التي نزلت على موسى عليه السلام، وكان بنو إسرائيل في تلك الفترة يخضعون للحكم الروماني الذي سيطر على الكثير من البلاد في ذلك الوقت ومنها الشام كله وبيت المقدس، وكان يحكم بيت المقدس وما حولها في ذلك الوقت أحد الحكام الرومانيين، وكان حاكما فاسدا ظالما.

تلقى يحيى عليه السلام النبوة والرسالة، وهو صغير السن، وقد استطاع أن يتقن الشريعة ويحفظ التعاليم ويفهم العلوم الدينية، وهو لا يزال صبيا، وكان يتمسك بحكم الشريعة ولا يحكم إلا بها مهما كان الأمر، كان يحيى منذ طفولته مطيعا لله لا يرتكب المعاصي، وكان شديد الحنان على الناس وعلى الحيوانات وعلى كل شيء حتى إنه في طفولته لم يكن يعذب الحيوانات ويتسلى بها كما يفعل الأطفال في تلك الفترة، بل كان يحنو على الحيوانات والطيور ويطعمها ويسقيها، وكان يحيى عليه السلام شديد الحنان على والديه، يخدمهما ويرعاهما بعد أن أصبحا في سن كبيرة وأصابهما الضعف، كان يحيى عليه السلام نموذجا للحنان على كل شيء الإنسان والحيوان والطير والأشجار، ونظرا لحنانه ونظرا لتقواه حياه الله بالسلام عليه يوم الولادة ويوم موته ويوم يبعث حيا.

كان يحيى عليه السلام يطلب من الناس العودة إلى تعاليم الله تعالى، والرحمة ببعضهم بعضا، والتمسك بالشريعة وعدم مخالفتها.

وكان يكثر من الصلة والصيام والتسبيح والزكاة ويدعو الناس إلى ذلك، كان كثير الخروج إلى الجبال ليعبد الله تعالى، وكان يأكل من ورق الأشجار والأعشاب، وكان ينام في أي مغارة يجدها في الجبل، لم يكن يرغب في المساكن والأموال.

كانت الحيوانات المفترسة تحبه؛ لأنه كان شديد الحنان، ولم تكن هذه الحيوانات تؤذيه بل تقوم بحراسته وتشعر بالحب تجاهه، كان يبدأ في الصلاة في أحد الجبال وتتجمع حوله الوحوش مثل الذئاب أو الأسود فلا يشعر بها ولا يخاف منها.

كان يحيى عليه السلام شابا جميلا، زادته التقوى والطاعة جمالا على جماله، وكان كلام يحيى عليه السلام ذا تأثير كبير؛ لأنه كان يخرج من قلب صادق، فإذا تكلم يحيى عليه الـسلام مع الناس ودعاهم إلى عبادة الله وطاعته بكى الناس من شدة التأثر.

كان الناس يقبلون عليه ليلتمسوا منه الدعاء والبركة، وكانوا يأتون بأطفالهم إليه فيغسلهم في نهر الأرض ويمشط شعرهم ويحنو عليهم ويدعو لهم الله تعالى أن يبارك فيهم.

وفي ذلك الوقت كانت هناك راقصة شديدة الجمال تسمى "سالومي" كانت تـرقص فـي الليل عند الحاكم الروماني، وكان ذلك الحاكم يحبها حبا شديدا ولا يرفض لها طلبا، سمعت تلـك الراقصة عن يحيى عليه السلام، ذهبت إليه في الجبل حيث كان يتعبد، فلما رأتـه تعلقـت بـه وعشقته عشقا شديدا وأردات أن يبادلها يحيى حبا بحب وعشقا بعشق، ولكن يحيى كان مشغولا عنها بعبادة الله تعالى والصلاة والدعاء وتوسلت إليه وجلست تحت أقدامه إلا أنه لم يشعر بهـا ولم يهتم بها.

شعرت الراقصة سالومي الغيظ الشديد، وغضبت على يحيى الذي رفـض أن يبادلهـا الحب، ولم يهتم بجمالها وإغرائها وقررت أن تنتقم منه.

في تلك الليلة، جاءت سالومي إلى الملك، وجلست معه وأخذ الملـك يـشرب الخمـر، وقامت سالومي فرقصت رقصا مثيرا أكثر من كل مرة ترقص فيها، وازداد تعلق الملـك بهـا، ولعبت الخمر برأس الملك.

قالت سالومي: هل إذا طلبت منك طلبا أيها الملك هل تحققه لي؟

قال الملك: اطلبي ما شئت.

قالت سالومي: أريد شيئا واحد، هو رأس يحيى.

قال الملك: اطلبي شيئا آخر، فإن الناس تحب يحيى حبا شديدا.

قالت سالومي: لا، بل أريد رأس يحيى.

أمر الملك جنوده، بالذهاب إلى يحيى، وقتله وقطع رأسه ووضعه على طبق وتقديمه إلى سالومي.

فعل الجنود ما أمرهم به الملك، وقدم الملك رأس يحيى علـى طبـق إلـى الراقـصة "سالومي".

(٢١)

عيسى عليه السلام

المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو أحد أنبياء الله، أمه هي السيدة مـريم العـذراء عليها السلام، خلقه الله من غير أب، والله قادر على كل شيء، مثلما خاق الله تعالى آدم من غير أب ولا أم، ومثلما خاق حواء من جسم آدم، أرسله الله إلى بني إسرائيل مثل كثير من الأنبيـاء الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل ليعيدهم إلى طريق الصواب بعد أن انتشرت بينهم الخرافـات وعم فيهم الفساد، علمه الله علوم الشريعة التي في التوراة، وأنزل عليه كتابا سماويا هو الإنجيل، وقد بشر المسيح عيسى ابن مريم بظهور النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

كان عيسى عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده، وترك الشرك والمعاصـي، وكـان يدعو إلى الحب والتسامح والاهتمام بجوهر الأشياء، وليس التمسك بشكلها الخارجي فقـط كمـا كان يفعل بنو إسرائيل في ذلك الوقت، وكان المسيح عليه السلام شديد العطف على أمـه، كمـا كان يكثر من الصلاة والزكاة، وقد أعطاه الله تعالى القدرة على إحياء الموتى بـإذن الله، وكـان قادرا على شفاء المرضى بإذن الله، فكان يعيد البصر إلى العميان، ويـشفي مرضـى البـرص والجذام، وهي أمراض جلدية مزمنة، وكل ذلك بإذن الله.

ومن المعجزات التي أيده الله بها نزول مائدة من السماء عليها أنواع مختلفة من الطعـام ليأكل منها أصحابه والمؤمنون به، وكانوا يسمون "الحواريين"، ذلك أن هؤلاء الحواريين قـالوا لعيسى ابن مريم هل يستطيع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء؟

فقال لهم عيسى ابن مريم: ألستم مؤمنين؟

قالوا: نعم نحن مؤمنين، ولكننا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونتأكد أن الله تعالـى قبل إيماننا، ثم لنكون شهداء على هذه المعجزة.

فدعا عيسى ابن مريم ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، فاستجاب الله لدعائه ونزلت المائدة من السماء وأكل منها الحواريون.

قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم:

كانت السيدة مريم العذراء عليها السلام تعيش في المسجد، فتقوم بالخدمة فيـه بعـض الوقت، وتقضي باقي وقتها في عبادة الله تعالى، وكانت مريم معروفة بالتقوى والطهارة، وكانت تنتمي إلى أسرة من بني إسرائيل لا تزال متمسكة بالعقيدة الصحيحة والسلوك الصحيح على حين كانت معظم بني إسرائيل قد فسدت.

كانت لمريم حجرة خاصة في المسجد تعيش فيها وحدها وتقوم فيها بأداء العبـادات لله، فتصلي أو تسبح الله، وتركع وتسجد، وفي إحدى المرات، وكانت مريم في المحراب، فـسمعت

http://tahasafeer.blogspot.com/

الملائكة تبشرها بأن الله جعلها طاهرة، وأن الله اختارها لتكون أفضل النساء، وطلبت الملائكة من مريم أن تسجد وتركع لله تعالى، وبشرتها الملائكة أيضا بأنه سيكون لها ولد يسمى عيسى، يكون نبيا ورسولا إلى بني إسرائيل ويكون له شأن كبير في الدنيا والآخرة وتعجبت مريم كيف يكون لها ابن، وهي لم تتزوج بعد، فقالت لها الملائكة إن الله قادر على كل شيء.

كانت مريم تذهب إلى مكان قريب من المسجد، فتجلس فيه، وكانت تصلي وتدعو الله، وكان هذا المكان لا يأتي إليه الناس عادة، وكان الناس أيضا يعرفون أن مريم تحب هذا المكان وتذهب إليه لتكون وحدها تعبد الله تعالى، ولم يكن أحد يذهب إلى هذا المكان حتى لا يقطع على مريم وحدتها وعبادتها وصلاتها، وفي أحد الأيام كانت مريم وحدها في هذا المكان، وفجأة وجدت أمامها رجلا، فخافت منه، واستعاذت بالله وطلبت منه أن يتقي الله تعالى، لم تكن مريم تعرف أن هذا الرجل هو جبريل عليه السلام جاء على هيئة البشر، قال لها جبريل عليه السلام إنه رسول من الله إليها لكي يجعل لها غلاما ذكيا.

تعجبت مريم من ذلك، فكيف يكون لها غلام، وهي لم تتزوج بعد ولم يمسها أحد الرجال، وهي طاهرة عذراء لا تعرف المعصية فأخبرها جبريل أن الله قادر على خلق غلام من غير أب وأن هذه سوف تكون معجزة للناس ورحمة لهم من الله، وختم جبريل كلامه قائلا: إن هذه إرادة الله تعالى.

كانت مريم مؤمنة شديدة الإيمان، فاستسلمت لأمر الله تعالى وأدركت أن الله القادر على كل شيء، قادر على أن يعطيها غلاما بدون أب.

نفخ جبريل عليه السلام في مريم، فحملت على الفور.

عادت مريم إلى غرفتها في المسجد، ومرت الأيام سريعة، واقترب موعد الولادة، في ذلك اليوم كانت مريم العذراء قد خرجت من المسجد وذهبت إلى مكان تكثر به الأشجار وجداول المياه الصغيرة، جلست مريم تحت ظل شجرة من أشجار النخيل العالية، على حافة أحد جداول المياه، ولم تكن في الشجرة ثمار؛ لأن هذا ليس موعد ظهور الرطب، وبينما مريم على هذه الحال تمت عملية المخاض ووضعت مولودا، فشعرت مريم بالحزن كيف تواجه أهلها، كيف تواجه الناس بهذا المولود، وهل يصدقها الناس أن هذا المولود من غير أب، تمنت مريم لو أنها ماتت قبل ذلك ولم تواجه هذه المشكلة.

وعندئذ تكلم هذا المولود، قال لها: لا تحزني؛ لأن الله معك.

وطلب منها أن تهز جذع النخلة لتسقط عليها الرطب فتأكل وتشرب من ماء الجدول، ثم قال أيضا إنه إذا سألها أحد عن هذا الأمر فعليها أن تخبره أنها صائمة عن الكلام ولن تكلم اليوم أحدا.

هزت مريم جذع النخلة، هزة ضعيفة، ومع ذلك تساقط عليها الرطب، رغم أن هذا لم يكن موعد ظهور الرطب في النخيل.

وكانت هذه معجزة من الله، فأكلت مريم من الرطب وشربت بعض الماء وقالت: الحمـد لله، ومن المعروف أن الرطب ذات قيمة غذائية عالية وخاصة بالنسبة للنساء بعد الولادة.

بعد ذلك حملت مريم مولودها وذهبت إلى أهلها، تعجب أهلها من ذلك، واعتبروه شـيئا خطيرا فكيف يحدث ذلك مع مريم، وهي من أسرة طيبة وذات أخلاق حميدة، ظنوا أنها فعلـت فعلا قبيحا فحملت من طريق الحرام، ولم يكن أحد يعرف أن الله أراد أن يخلق عيسى بغير أب، تجمع الناس في بيت أهل مريم، وكان الجميع يتساءل.

لم تتكلم مريم، ولم ترد على أسئلتهم، وأشارت إلى الطفل.

تعجب الناس منها عندما أشارت إلى الطفل المولود، وقالوا: كيف نتكلم مع هذا المولود؟ وهل المولود يتكلم؟!

عندئذ تكلم المولود، قال: إني عبد الله ورسوله، وإن الله اختاره ليكـون نبيـا وجعلـه مباركا، وأوصاه بالصلاة والزكاة، والبر بوالدته والعطف عليها، ثم ختم المولد كلامـه قـائلا: ﴿**والسلام علي يوم ولدت ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حيا**﴾.

تكلم المولود، على غير العادة، وكانت هذه معجزة من الله تعالى أيد بها مـريم وأظهـر براءتها، ومع أن الناس سمعوا وشاهدوا المولود يتكلم إلا أن بعضهم صـدق وبعـضهم كـذب وأطلق الشائعات على مريم.

قال البعض إن هذا المولود ابن جاء بطريق الخطيئة، وإن مريم ارتكبت الزنا مع أحـد الرجال فحملت وولدت هذا المولود.

وقال الصالحون: بل هذه هي إرادة الله وإن الله قادر على أن يخلق طفلا بغير أب كمـا خلق آدم بغير أم أو أب.

أمر الله مريم أن تحمل طفلها وتذهب به إلى مصر، وعاش عيسى عليه السلام طفولتـه وصباه في مصر ثم عادت به أمه إلى فلسطين، بعد عدة سنوات كبر عيسى ابن مـريم، وأخـذ يدعو الناس إلى عبادة الله وحده، وأنزل الله عليه كتابا سماويا هو الإنجيل، وأيده الله بالكثير من المعجزات مثل نزول المائدة من السماء، ومثل شفاء المرضى وإعادة البصر إلى المكفوفين، أو علاج مرضى البرص والجذام، كما أعطاه الله القدرة على إحياء الموتى بإذن الله، فكان عيـسى عليه السلام يصنع من الطين كهيئة الطير، فيتحول إلى طير حقيقي بإذن الله، وكان يدعو الموتى في القبور فيخرجون منها أحياء.

ومع كل هذه المعجزات، آمن به عدد قليل يسمون "الحواريـون" وكذبـه أكثـر بنـي إسرائيل، كان عيسى عليه السلام يدعو إلى الحب والتسامح والاهتمام بالمضمون والجوهر وليس الشكل فقط، فاتهمه كهنة بني إسرائيل بالخروج على شـريعة التـوراة وأخـذوا يـدبرون لـه المؤامرات، وكانت فلسطين في ذلك الوقت تخضع للحكم الروماني الذي كان يسيطر على كثيـر من البلاد مثل الشام ومصر وغيرها.

أخذ اليهود الضالون يدبرون المؤامرات ضد عيسى عليه السلام ونجحوا في جعل الحاكم الروماني على فلسطين يصدر أمره بالقبض على عيسى ابن مريم وإعدامه بوضعه على الصليب، وذهب اليهود الضالون مع جنود الحاكم الروماني للقبض على عيسى ابن مريم، ولكن الله نجاه منهم، وجعل أحد رجال بني إسرائيل يشبه المسيح عيسى ابن مريم تماما، وظن اليهود الضالون وجنود الحاكم الروماني أن هذا الرجل هو المسيح عيسى ابن مريم فقبضوا عليه وأعدموه على الصليب، ولم يكن هذا الرجل هو المسيح عيسى ابن مريم، ورفع الله عبده ونبيه عيسى ابن مريم إلى السماء ونجاه من كيد اليهود الضالين وكيد الحاكم الروماني.

ومن العجيب أن الذين آمنوا بعيسى ابن مريم في ذلك الوقت قد تفرقوا إلى فرق كثيرة، وحرفوا في الإنجيل فزادوا عليه وحذفوا منه، فمنهم من قال إن المسيح هو الله، ومنهم من قال إن المسيح ابن الله، ومنهم من قال إن الله ثالث ثلاثة، وهذه كلها خرافات وأقوال جاءوا بها من عند أنفسهم فأصبحوا كافرين واستحقوا غضب الله.

وكانت هناك مجموعة صغيرة من أتباع المسيح عيسى ابن مريم ظلت متمسكة بالإسلام الذي دعاهم إليه المسيح عيسى ابن مريم وظلوا يعتقدون العقيدة الصحيحة في أن المسيح هو عبد الله ورسوله، وأنه لا إله إلا الله، وقد تعرضت هذه المجموعة لاضطهاد شديد ومطاردة وتعرضوا للقتل منذ ذلك الوقت وحتى ظهور الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أكد على الحقيقة الصحيحة وأعلن أن المسيح هو عبد الله ورسوله وأنه لا إله إلا الله، وأن الذين يقولون بغير هذا كفار ضالون.

س ره ف

مشهد من مشاهد يوم القيامة

أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم، أنه في يوم القيامة سيسأل الله تعالى عبده ونبيه عيسى ابن مريم هل هو الذي قال للناس أن يتخذوه هو وأمه إلهين من دون الله فينفي عيسى ابن مريم ذلك، ويعلن أنه لم يقل ذلك، وأنه قال فقط إنه عبد الله ورسوله، وإنه لم يقل إلا ما أمره الله به، وهو أن اعبدوا الله ربي وربكم وأن الله يعلم ذلك؛ لأنه يعلم ما في نفس عيسى ولا يعلم عيسى ما في نفس الله تعالى.

وبهذا الإعلان الذي سيعلنه عيسى ابن مريم يوم القيامة، لن يستطيع هؤلاء الذين كفروا والذين قالوا إن عيسى إله أو أنه وأمه إلهين من دون الله أو غيرها من الأقوال الباطلة، لن يستطيع هؤلاء أن يزعموا أن عيسى هو الذي أمرهم بذلك أو قال لهم ذلك، وبذلك لا يجدون مفرا من الاعتراف بأنهم هم الذين اخترعوا هذه العقائد الباطلة ونسبوها زورا وكذبا إلى عيسى ابن مريم عليه السلام.

فهرس